التعليل بالتخفيف للأداء القِرائيّ
في كتاب "إعراب القراءات الشواذ"
للعكبري (٦١٦هـ)

الدكتور
إيهاب سعيد إبراهيم إبراهيم
كلية الإلهيات جامعة قسطمونى - تركيا

ملخص

تقوم هذه الدراسة على قراءة تعليلات العكبري للأداءات القرائية المختلفة في كتابه (إعراب القراءات الشواذ) بعلة التخفيف، باحثة عن المظاهر الصوتية لتلك العلة عنده، ومدى تحقق التخفيف فيما قاله فيه من قراءات، من خلال الوقوف على التغيرات الصوتية المصاحبة لتلك الأداءات المعللة، وتتبع آراء القدماء والمحدثين -غير العكبري- فيها.

الكلمات المفتاحية: التعليل- التخفيف- القراءات الشاذة - العكبري

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آلة وصحبه أجمعين، ثم أما بعد؛

فإن للقراءات الشاذة -بصفتها نصًّا لغويًّا يحتج به[١]- أهميتها في الوقوف على كثير من الظواهر اللغوية في العربية، وحقيقتها، ولا سيما الصوتية منها، وكان كتاب (إعراب القراءات الشواذ) [٢] لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ)؛ واحدًا من أهم الآثار التي سجَّلت القراءات القرآنية الشاذة، وأوسعها.

وقد حرص العكبري على أن يعلل تلك القراءات التي أوردها في كتابه-ما وسعه جهده في ذلك-، فقد كان تعليل القراءات الشاذة أحد أهم معالم منهجه في كتابه[٣]، حتى إنه صرح بالتعليل هدفا للكتاب، فقال: "فإنه الْتُمس مني أن أملي كتاب يشتمل على تعليل القراءات الشاذة، الخارجة عن قراءة العشرة المشهورين"[٤]، ومن هذه العبارة كانت فكرة هذا البحث.

مشكلة البحث وهدفه:

ولما تنوعت تعليلات العكبري في كتابه بحسب المستويات اللغوية المختلفة، اخترت منها المستوى الصوتي؛ لتقوم هذه الدراسة على قراءة تعليلات العكبري للأداءات القرائية المختلفة في كتابه (إعراب القراءات الشواذ) بعلة التخفيف، باحثة عن المظاهر الصوتية لتلك العلة عنده، ومدى تحقق التخفيف فيما قاله فيه من قراءات، وذلك من خلال الوقوف على التغيرات الصوتية المصاحبة لتلك الأداءات المعلَّلة، وتتبع آراء القدماء والمحدثين -غير العكبري- فيها.

وجدير بالذكر أن العكبري وإن كان قد حرص على التعليل، وكان ذلك هدفا له في كتابه كما قدمنا؛ فإنه كذلك لم يُلزم نفسه بتعليل كل أداء أورده في كتابه،

---

[١] قال السيوطي في الاقتراح (٦٧-٦٨): "أما القرآن فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية، سواء كان متواترًا، أو آحادًا أم شاذًّا، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسا معلوما، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجز القياس عليه، كما يحتج بالمُجمع على وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعين، ولا يقاس عليه... وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافا بين النحاة، وقد فصَّل الدكتور محمد السيد عزوز تفصيلا بيَّنا موقف اللغويين من القراءات الشاذة، انظر: موقف اللغويين من القراءات القرآنية الشاذة: ٤٠، وما بعدها.

[٢] الكتاب منشور بتحقيق الدكتور محمد السيد عزوز، في دار عالم الكتب، بيروت.

[٣] انظر: مقدمة تحقيق إعراب القراءات الشواذ: ٧٢/١.

[٤] إعراب القراءات الشواذ: ٨٣/١.

بل كان يكتفي في كثير منها بذكر الأداء، وتوصيفه دون أن يتلمَّس له علة، ومثل ذلك من المواضع من كتابه ليس داخلا في مجال هذه الدراسة، وإنما كانت عنايتها بما ذكَر فيه - صراحةً أو إشارة- تعليلا صوتيا بالتخفيف.

الأعمال السابقة:

ونشير هنا إلى عملين علميين؛ قد يُظن بهذه الدراسة الوقوع في مشابهتهما، إلا أن الأمر على غير ذلك، أما أحدهما فهو بحث بعنوان: (التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، قراءة في كتاب سيبويه)[٥]، وهو عمل كان في أصله رسالة دكتوراه، وعنوانها الأصلي: (التعليل الصوتي في كتاب سيبويه، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث) للباحث عادل نذير بيري الحساني، تقدم بها إلى قسم اللغة العربية في كلية الآداب، جامعة بغداد بالعراق، عام ٢٠٠٦م.

وواضح من عنوان الكتاب أو الدراسة، فارق ما بينها وبين دراستنا؛ من حيث مجال بحث كل منهما، فبينما تختص دراستنا بكتاب العكبري، تختص الأخرى بكتاب سيبويه، بالإضافة إلى فارق جوهري آخر، هو اهتمام تلك الدراسة المذكورة بتعليلات الجانب النظري، أو ما يمكن ان نسميه تعليل الأحكام، بحيث اهتمت بتعليلات الظواهر الصوتية بصورة عامة، أما دراستنا فكانت عنايتها بتعليلات الأداءات المختلفة التي حدثت ورُويت لنا، فلكل أداء خصوصيته في التغيرات الصوتية وتعليلها.

وأما العمل الآخر؛ فكان رسالة علمية أيضا، بعنوان: (التعليل في الدراسات الصوتية) لعزة بنت سعد بن سعيد الغامدي، تقدمت بها للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، بالمملكة العربية السعودية، عام ٢٠٠٤م.

وكذلك يتضح من عنوان العمل مباينته لبحثنا من حيث اختلاف رقعة مجاله البحثي، فميدانه كان الدراسات الصوتية بصورة عامة -ليس (إعراب القراءات الشواذ) الذي اختصت به دراستنا-، وهو بذلك أيضا يتخذ لنفسه بعدا تنظيريا، أكثر من البعد التطبيقي -المبني على تعقب الأداءات المختلفة من خلال ما روي من قراءات قرآنية- الذي قامت دراستنا على تتبعه؛ هذا بالإضافة إلى أنها لم تختص بالتعليل بالتخفيف، وإنما تناولت أوجها عدة من التعليلات، كان التعليل بالتخفيف واحدا منها، ومن ثم جاءت معالجته فيها أقل مما ينبغي.

---

[٥] كتاب مطبوع في مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بديوان الوقف السني بجمهورية العراق عام ٢٠٠٩.

منهج الدراسة:

وكان منهج البحث أن أذكر الموضع القرآني الذي أوردَ فيه العكبريُّ الأداءَ الشاذ برواية حفص عن عاصم أولا، ثم أذكر الأداء الذي أورده معللا بالتخفيف فيه، مجتهدا في تخريجه من مظان وروده[٦]، ثم أذكر عبارة العكبري التي علل فيها الأداء بالتخفيف، ثم أجتهد في تحليل تلك التعليلات في ضوء ما يتوافر لدي من معطيات لغوية تراثية وحديثة.

ومن ثم جاءت الدراسة في تمهيد ومبحثين، جعلت التمهيد لتعريف موجز بـ (التخفيف)، وبيان المراد به في هذه الدراسة.

وأما المبحثان فجعلتهما للمظهرين اللذين توافرا في كتاب (إعراب القراءات الشواذ) لعلة التخفيف، فكان المبحث الأول للتخفيف بالحذف، وكان الآخر منهما للتخفيف بالإبدال.

ثم ختمت البحث بخاتمة، ذكرت فيها أهم نتائجه، ثم سردت قائمة المصادر والمراجع التي أفدت منها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

[٦] استعنت بتخريجات محقق الكتاب، د محمد السيد عزوز، للقراءات الشاذة، وأفدت منها كثيرا، ومن ثم كان ذكري لحواشي المحقق ضمن تخريجات القراءات الشاذة المختلفة من مظان ورودها.

تمهيد

يُعد التخفيف أو الفرار من الثقل مما تفضله العرب في لغتها؛ فالعرب "قد تنطق بالشيء، غيرُه في أنفسها أقوى منه؛ لإيثارها التخفيف".[٧]

والتخفيف أو الفرار من الثقل من العلل الرئيسة في اللغة العربية، بل لعله يكون أوسع علل العربية مجالَ تطبيق[٨]، فقد صنفه السيوطي ضمن العلل المطَّردة في العربية، والتي تنساق في كلامهم[٩]، وهو مرتبط بطبيعة اللغة، ولا يمكن الاستغناء عن البحث فيه لفهم كثير من أسرار اللغة، وليس علة من العلل الثواني والثوالث[١٠]، ولكنه من العلل التي بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب .[١١]

أما عن حدّ التخفيف؛ فلا نكاد نعثر على تعريف جامع مانع له غير ما أورده الرماني فيه من قوله بأنه "تسهيل مَا يثقل على اللِّسَان أَو فِي الطباع"[١٢]، وقد اجتهد في تعريفه أحد الباحثين المعاصرين، فعرَّفه بأنه "في مدلوله العام عبارة عن تغييرات صوتية تمس بِنى الكلمات من غير أن تُلحق ضررا بدلالتها".[١٣]

غير أن هذين التعريفين للتخفيف بوصف ما يحدث من خلاله من تغيُّرات صوتية؛ يخرجان به عن كونه علةً إلى أنه مظهر صوتي أدائي، وليس علةً في ذاته، وهو قريب من الرأي الذي تبناه الدكتور أحمد عفيفي حينما قرر أن "الثقل علة، أما التخفيف فغاية لتلك العلة... فالتماس الخفة وإرادتها وطلبها غاية وهدف لهروبٍ من ثقل استوقفنا".[١٤]

---

[٧] الخصائص: ٢٥٠/١.
[٨] اللغة العربية والحداثة: ١٣٧.
[٩] انظر: الاقتراح في أصول النحو: ٢٢٧.
[١٠] يقصد بالعلل الثواني العلل القياسية، وهي تلك التي تحاول أن تربط بين الظواهر المختلفة، بملاحظة ما بينها من صلات، وأخْذ النحاة بها لطرد الأحكام، كتعليل نصب إن وأخواتها نصب اسمها بمضارعتها الفعل، وأما المراد بالعلل الثوالث؛ فهي العلل الجدلية، وهي التي يعلل بها غيرها من العلل عن طريق التسويغ المنطقي، كالعلل الباحثة في الجهة التي تضارع من خلالها (إن) وأخواتها الفعل مما يؤدي إلى نصبها اسمها بعدها، انظر في ذلك: التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث: ٣٠.
[١١] انظر: ظاهرة التخفيف في النحو العربي: ١٦، والرد على النحاة لابن مضاء: ١٢٨.
[١٢] الحدود النحوية للرماني: ٧١.
[١٣] ظاهرة التخفيف في اللغة العربية دراسة صرفية صوتية: ١٨
[١٤] ظاهرة التخفيف في النحو العربي: ١٦-١٧.

والذي أراه أن التخفيف كالاستثقال، كلاهما علة مرادة لذاتها، وهو ما قرره الدكتور أحمد عفيفي نفسه حينما ذكر أن التخفيف والاستثقال كوجهي العملة الواحدة[١٥]، ومن قبله ذكر الدكتور تمام حسان أنهما وإن كانا على طرفي التضاد في تقسيمات النحاة للعلل النحوية؛ فإنهما يكادان يترادفان وهما وجهان لعملة واحدة. [١٦]

غير أنه لنا أن نفرق بين استخدامين لمصطلح التخفيف؛ أحدهما استخدامه لتوصيف الأداء الصوتي، كما يرد في كثير من عبارات القدماء من عبارات مثل: خفّف الهمزة، أو بتخفيف الهمزة أو قرأ بالتخفيف؛ أي بعدم تشديد الصوت، وهذا الضرب من الاستخدام للمصطلح (التخفيف) مباين للتعليل.

وأما الاستخدام الآخر فهو استخدام مصطلح (التخفيف) على أنه المراد من الأداء الصوتي بالصورة التي أُدي بها، وهو بذلك يوضح العلة والغاية الكامنة وراء ذلك الأداء بتلك الصورة، وهذا الضرب من استخدام مصطلح التخفيف هو مراد البحث ومداره، وهو ما ظهر في كثير من تعليلات العكبري لكثير من الأداءات القرائية في كتابه (إعراب القراءات الشواذ)؛ حيث كان (التخفيف) عنده علة للأداء الذي كان يعالجه، ويدل على ذلك عبارات مختلفة له من مثل: "طلبا للخفة"، أو"طلبا للتخفيف"، أو "تخفيفا" أو "للتخفيف[١٧]"، فصياغة هذه العبارات بصيغة المفعول لأجله، أو بلام التعليل؛ دالةٌ على أن التخفيف عنده كان علةً أو سببا كامنا وراء ورود تلك الأداءات -التي أشار إليها في ذلك- بتلك الصورة التي عليها.

أما عن تحقيق التخفيف في الأداء القرائي في كتاب (إعراب القراءات الشواذ) فقد تجلى في مظهرين أدائيين، أحدهما: الحذف، والآخر: الإبدال، وهما ما سنتناولهما في المبحثين التاليين.

---

[١٥] ظاهرة التخفيف في اللغة العربية دراسة صرفية صوتية: ١٦.
[١٦] الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: ١٧٧.
[١٧] إعراب القراءات الشواذ: ١/١٢٥، و١/١٧٠، و١/١٨٠.

المبحث الأول
التخفيف بالحذف

الحذف من سنن العرب في كلامها[١٨]، وعدَّه ابن جني مظهرا من مظاهر شجاعة العربية[١٩]، ولمّا كان الحذف يرتبط في كثير من مواضع وقوعه بالتخفيف؛ كان أحد سبيلين لتحقيق التخفيف في الأداء القرائي في إعراب القراءات الشواذ؛ وقد أورد العكبري كثيرا من الأداءات التي تمايزت عن غيرها بوقوع الحذف فيها، لكنه كان في غالب تلك الأداءات يكتفي بتوصيفها وتوصيف ما جرى فيها من تغيرات صوتية[٢٠] دون أن يذكر علة التخفيف صراحة أو إشارة، ولكنه كان أيضا في بعض المواضع يوضّح أن التخفيف هو الذي وراء ذلك الحذف، وهذه التوضيحات هي مرادنا في ذلك البحث دون غيرها مما اكتفى فيه بمجرد التوصيف، وقد تنوعت مظاهر الحذف للتخفيف في إعراب القراءات الشواذ فجاءت في الصور التالية:

أولا: حذف الصامت:

ونقصد بذلك الأداءَ الذي جاء مخففا بحذف صامت فقط دون حذف حركة معه، ومما أشار فيه العكبري إلى أن حذف الصامت كان للتخفيف ما يلي:

١-حذف (الهمزة):

الهمزة من الأصوات التي وصفت بالثقل في نطقها، جاء في الموضح في وجوه القراءات: "اعلم أن الهمزة لمّا كانت خارجة من أقصى الحلق، استحبت العرب تخفيفها استثقالا لإخراج ما هو كالتهوّع".[٢١]

ولهذا الثقل كان الميل إلى تخفيفها ما أمكن ذلك حتى عرفت قبائل بعينها بتخفيف الهمزة كما عُرف عن الحجازيين، فقد ذكر سيبويه (١٧٥هـ) استثقالهم تحقيقها.[٢٢]

---

[١٨] انظر: الصاحبي: ٣٣٧.
[١٩] انظر: الخصائص: ٣٦٢/٢.
[٢٠] ومن ذلك ما ورد عنده في قوله تعالى: ﴿بَيْنَ ٱلْمَرْءِ﴾ سورة البقرة:١٠٢/٢؛ حيث يقول (١٩٣/١): "ويقرأ بفتح الميم وكسر الراء من غير همز، والوجه فيه أنه ألقى حركة الهمز على الراء وحذفها مثل الخَبَ"، فلا يوجد أي تعليل لذلك الأداء في عبارته، وإنما اكتفى بتوصيفه وما حدث فيه من تغيرات صوتية.
[٢١] الموضح في وجوه القراءات: ١٨٥/١، والتهوع: التقيؤ، انظر اللسان (هوع): ٣٧٧/٨.
[٢٢] الكتاب :٥٤٩/٢.

وقد ذكر العكبري كثيرا من الأداءات التي حذفت فيها الهمزة، لكن اكتفي في غالب ذلك بوصف ما حدث من تغير صوتي دون الوقوف على علته أو بيان السبب فيه[٢٣]، غير أنه علل ذلك الحذف في لفظة (السوء) في قوله تعالى ﴿مَطَرَ ٱلسَّوۡءِ﴾[٢٤]، فقد أورد فيها القراءة بالواو مخففَّة مكسورة[٢٥]؛ ثم قال: "وذلك على حذف الهمزة لثقل الجمع ببينها وبين الواو".[٢٦]

فقوله: (لثقل الجمع ....) دالٌ على أن إرادة التخفيف هي الداعية إلى هذا الحذف.

وقد ذكر سيبويه ذلك التخفيف للهمزة بالحذف إذا كانت متحركة وما قبلها ساكن فقال "واعلم أنَّ كل همزةٍ متحركة كان قبلها حرفٌ ساكن فأردت أن تخفف حذفتها وألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها، وذلك قولك: مَنَ بُوك؟ ومنُ مُّك؟ وكم بْلك، إذا أردت أن تخفِّف الهمزة في الأب والأم والإبل، ومثل ذلك قولك: لحمر إذا أردت أن تخفف ألف الأحمر، ومثله قولك في المرأة: المَرَة، والكمأة: الكَمَة."[٢٧]

وعلل بعضُهم ذلك التخفيف بتلك الطريقة -حذف الهمزة وإلقاء حركتها على ما قبلها إذا كانت الهمزة متحركة وكان ا قبلها صامت ساكن- بأنه "لم يكن ههنا طريق إلى قلب الهمزة حرف لين لسكون ما قبلها كراهة اجتماع الساكنين... فجعل تخفيفها بالحذف لذلك" [٢٨]

وذلك الأداء بحذف الهمزة وإبقاء حركتها بإلقائها على الساكن الذي قبلها؛ هو ما استحسنه مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) في قوله: "إن كان الساكن الذي وقع قبل الهمزة المتحركة حرف لين أو حرف مد ولين غير زائدين؛ كان لك في الهمزة في التخفيف وجهان: أحدهما -وهو الأحسن- أن تلقي عليه حركة الهمزة، والثاني أن تبدل مع الواو واو وتدغم الأول في الثاني، ومع الياء ياء، وتدغم الأول في الثاني، وذلك نحو (سيئت)، و(سوء) إن شئت قلت: (سيت)، و(سو)

---

[٢٣]انظر تمثيلا لذلك: (ولا تسل) ٢٠١/١، و(القران) ١/ ٢٣٣، و(عن الأهلة) ١/ ٢٣٥، و(فلا اثم عليه)٢٤١/١، و(الإنجيل) ٣٠١/١، و(كهيئة) ١/ ٣١٩، و (من أجل) ٤٣٧/١، و (فلنسلن) ٥٢٩/١، و(مذوما) ١/ ٥٣٠، و(سوتهما) ٥٣١/١.

[٢٤]سورة الفرقان: ٤٠/٢٥.

[٢٥]قراءة الضحاك، انظر: معجم القراءات (الخطيب): ٣٥٥/٦.

[٢٦]إعراب القراءات الشواذ: ٢٠١/١٢.

[٢٧]الكتاب: ٥٤٥/٣.

[٢٨]الموضح في وجوه القراءات: ١٨٩/١.

في التخفيف، وهو الأحسن، تلقي حركة الهمزة على الساكن قبلها وتحذفها، وإن شئت قلت (سيّت)، و(سوٌ) تبدل وتدغم".[٢٩]

وعلة التخفيف في هذا الحذف الذي ذكره العكبري ورجحه من قبله مكي؛ كامنة في أن هذا الحذف أدى إلى تغير في النظام المقطعي للفظة؛ حيث كانت اللفظة قبل الحذف تتكون من ثلاثة مقاطع؛ اثنين من نوع القصير المغلق (أسْ) و(سَوْ)، وواحد قصير مفتوح (ءِ)، فأصبحت بعد الحذف تتكون من مقطع واحد قصير مغلق (أسْ)، واثنين من نوع القصير المفتوح (سَ)، و(وِ)؛ فقد حول حذف (الهمزة) أحد المقطعين القصيرين المغلقين إلى مقطع قصير مفتوح، وهذا في ذاته تخفيف، ويمكن توضيح ذلك بالشكل التالي :[٣٠]

قبل الحذف	أسْ	سَوْ	ءِ
	ص ح ص	ص ح ص	ص ح
بعد الحذف	أسْ	سَ	وِ
	ص ح ص	ص ح	ص ح

٢-حذفُ الساكن من المِثلين المتجاورين:

علّل العكبري حذف الساكن من المثلين المتجاورين -أيضا- بالتخفيف، وكان من نماذج ذلك عنده ما يلي:

- ما ورد في قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ ﴾[٣١]؛ حيث قال فيه: "يُقرأ بكسر الهمزة وتخفيف الياء[٣٢]، والوجه فيه أنه حذف إحدى الياءين لثقل التضعيف في الياء".[٣٣]

فعبارته "والوجه فيه أنه حذف إحدى الياءين لثقل التضعيف في الياء" هي تعليل منه للحذف في ذلك الأداء بإرداة التخفيف، ويؤكده ما أردف به تلك العبارة من قوله: "وقد جاء عنهم في حذف المضعَّف حروف كثيرة".[٣٤]

---

[٢٩]الكشف عن وجوه القراءات: ١٠٩/١.

[٣٠]في هذا الشكل التوضيحي وما يليه من أشكال توضيحية؛ يشير الرمز (ص) أي الصامت والرمز (ح) إلى الحركة القصيرة، والرمز (ح ح) إلى الحركة الطويلة.

[٣١]سورة الفاتحة: ٥/١.

[٣٢]وهي قراءة عمرو بن فائد الأسواري، وأُبَيّ، انظر: المحتسب: ٤٠/١، ومختصر ابن خالويه: ١، وتفسير القرطبي: ١٤٦/١، والبحر المحيط:٤١/١، ومعجم القراءات (الخطيب): ١٤/١.

[٣٣]إعراب القراءات الشواذ: ٩٣/١.

[٣٤]إعراب القراءات الشواذ: ٩٣/١.

ويؤكد ابن جني أن التخفيف والفرار من الثقل هو الذي أنتج هذا الأداء، وليس غير؛ فلا ينبغي أن يُنظر إليه على أنه لغة من لغات العرب فيقول: "وينبغي أن يكون عمرو بن فايد إنما قرأ (إيَاكَ) بالتخفيف؛ لأنه كره اجتماع التضعيف مع ثقل الياءين والهمزة والكسرة، ولا ينبغي أن يحمل (إيَاك) بالتخفيف على أنها لغة، وذلك أنا لم نرَ لذلك أثرًا في اللغة، ولا رسمًا، ولا مرَّ بنا في نثر ولا نظم"[٣٥]؛ وللسبب عينه وصف القرطبي هذه القراءة بأنها "قِرَاءَةٌ مَرْغُوبٌ عَنْهَا".[٣٦]

فعلى ما قاله ابن جني والقرطبي يكون التخفيف هو الداعي لهذا الأداء بهذه الصورة، كما قال العكبري.

وما ذكرناه في لفظة (السوء) من حيث التغير في النظام المقطعي ينسحب على لفظة (إياك) أيضا هنا؛ حيث نرى أن علة التخفيف في الحذف هو ما أدى إليه من تغيرات في النظام المقطعي للفظة، حيث تتكون لفظة إياك قبل الحذف من ثلاثة مقاطع أولها قصير مغلق (إيْ)، وثانيها: طويل مفتوح (يا)، وثالثها قصير مغلق (كَ)، لكن بحذف الياء؛ تحول المقطع الأول القصير المغلق (إيْ) إلى ما هو أخف منه: قصير المفتوح(إ)، ويمكن بيان ذلك بالشكل التالي:

قبل الحذف	إيْ	يا	كَ
	ص ح ص	ص ح ح	ص ح
بعد الحذف	إ	يا	كَ
	ص ح	ص ح ح	ص ح

-ومما علله العكبري بالتخفيف أيضا من حذف الساكن من المثلين المتجاورين ما جاء في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾[٣٧]؛ فقد أورد أنه: "يُقرأ بلام واحدة مخففة مفتوحة"[٣٨]، ثم علل ذلك الأداء بقوله: "والوجه في ذلك أنه حذف اللام الأولى كراهية التشديد".[٣٩]

---

[٣٥] المحتسب: ١/ ٤٠.
[٣٦] تفسير القرطبي: ١/ ١٤٦.
[٣٧] الفاتحة: ١/ ٧.
[٣٨] إعراب القراءات الشواذ: ١/ ٩٩، وانظر: هذه القراءة في: مختصر ابن خالويه: ١، ومعجم القراءات القرآنية، و ١/ ٢٠.
[٣٩] إعراب القراءات الشواذ: ١/ ٩٩.

فـ (كراهية التشديد) في كلام العكبري عبارة كاشفة عن أن علة الحذف عنده هي التخفيف، لأن التشديد يؤدي إلى ثقل.

وقد أشار إلى ذلك الحذف في الاسم الموصول بعض النحاة، وذكروا أنه لغة فيه، فقد ذكر ابن مالك أنه: "قد يقال: (لَذي) و(لَذان) و(لَذينَ) و(لَتي) و(لَتان) و(لاتي)"[٤٠]،وأنكره أبو حيان فقال: "ولا يجعل ذلك قياسًا إن صح؛ فيحذف من بقية الألفاظ التي ذكر؛ لأن هذا التخفيف شاذ".[٤١]

لكن على كل حال سواء كان ذلك قياسا على قول ابن مالك أو شذوذا على رأي أبي حيان، تبقى علة الحذف التخفيف.

ويمكن وصف ما حدث من تغير صوتي في ذلك بأن أداء كلمة (الذين) موصولةً مع الكلمة السابقة لها قبل الحذف وبعده على الصورة المقطعية التالية:

قبل الحذف	طَلْ	لَـ	ذي	نَ
	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح
بعد الحذف	طَـ	لَـ	ذي	نَ
	ص ح	ص ح	ص ح ح	ص ح

فقد تحول المقطع الأول من الأداء قبل الحذف من مقطع قصير مغلق إلى مقطع قصير مفتوح بعد الحذف، ومن هنا كان وجه التخفيف فيه.

- ومما علله العكبري بالتخفيف أيضا من حذف الساكن من المثلين المتجاورين ما جاء في قوله تعالى: ﴿أُمِّيُّونَ﴾[٤٢]؛ فقد أورد أنه: "يُقرأ بتخفيف الياء"[٤٣]، ثم إنه مع وصفه لهذه القراءة بالبعد؛ فإنه في النهاية علل ذلك الأداءَ والحذفَ فيه بقوله: "حذف تخفيفا.[٤٤]"

ويمكن تفسير ذلك التخفيف بأن اللفظة قبل الحذف تتكون من أربعة مقاطع صوتية، الأول (أُمْ) والثاني (مي) منها من النوع القصير المغلق (ص ح ص)، والثالث طويل مفتوح (يو) (ص ح ح) والأخير (نَ) قصير مفتوح (ص ح)، ثم

---

[٤٠]تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٣٣، وانظر: شرح التسهيل: ١٨٩/١.
[٤١]ارتشاف الضرب: ١٠٠٥/٢.
[٤٢]سورة البقرة: ٧٨/٢.
[٤٣]إعراب القراءات الشواذ: ١٨٠/١.
[٤٤]إعراب القراءات الشواذ: ١٨٠/١.

كان حذف الياء فحول المقطع الثاني من مقطع قصير مغلق إلى مقطع قصير مفتوح، ويوضح ذلك الشكل التالي:

قبل الحذف	أَمْ	مِيْ	يو	نَ
	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ح	ص ح
بعد الحذف	أَمْ	م	يو	نَ
	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح

ويمكن أن يُرى التخفيف في ذلك التغير في النظام المقطعي من جهتين، إحداهما من حيث تغيير المقطع الثاني من قصير مغلق إلى قصير مفتوح كما ذكرنا، والجهة الأخرى للتخفيف أن ذلك الحذف غاير بين المقطعين المتشابهين الأول والثاني، ومن ثم حدث بينهما مخالفة صوتية وهي في ذاتها مظهر من مظاهر التخفيف.

- ومن نماذج حذف الساكن من المثلين المتجاورين -أيضا- التي علل العكبري الحذف فيها بعلة التخفيف قوله تعالى: ﴿وَأَهُشُّ﴾[٤٥]؛ فقد روى فيها أنها قرئت بحذف الشين الساكنة، فقال: "ويقرأ بتخفيف الشين[٤٦]؛ على أنه حذف إحدى الشينين لثقل التضعيف.[٤٧]"

فعبارة (لثقل التضعيف) في عبارة العكبري تعليل للحذف بالتخفيف، وبهذا التعليل ذاته قال من روى هذه القراءة، فقد نقل أبو حيان (٧٤٥ هـ) في تفسيره: "ولا أعرف وجهه إلا أن يكون بمعنى العامة، لكن فرَّ من قراءته من التضعيف؛ لأن الشين فيه تفش فاستثقل الجمع بين التضعيف والتفشي.[٤٨]"

ويمكن تفسير ما حدث في بناء للفظة بأنها قبل الحذف كانت تتكون من ثلاثة مقاطع؛ أولها: قصير مفتوح: (أ) ، وثانيها: قصير مغلق (هُشْ)، والأخير: قصير مفتوح (شُ)، وبحذف الشين الساكنة؛ تغير النظام المقطعي للفظة، كما يوضح الشكل التالي:

---

[٤٥] سورة طه: ١٨/٢٠.

[٤٦] القراءة منسوبة لعكرمة ومجاهد في اللباب في علوم الكتاب: ٢١٢/١٣، والبحر المحيط: ٣٢٢/٧، والدر المصون: ٢٥/٨، وانظر أيضا: معجم القراءات (الخطيب): ٤٢٤/٥.

[٤٧] إعراب القراءات الشواذ: ٦٩/٢.

[٤٨] البحر المحيط: ٣٢٢/٧.

قبل الحذف	أ	هُشْ	شُ
	ص ح	ص ح ص	ص ح
بعد الحذف	أ	هُـ	شُ
	ص ح	ص ح	ص ح

فقد أدى الحذف إلى تحول المقطع الثاني في اللفظة من قصير مغلق إلى قصير مفتوح، وبهذا يكونُ وجهُ الخفة الذي تلمَّسه صاحبُ ذلك الأداء.[٤٩]

٣-حذف نون التنوين:

وجاء ذلك معلَّلًا بالتخفيف عند العكبري في موضعين أحدهما: في قوله تعالى ﴿لَا رَيۡبَ﴾[٥٠]؛ حيث أورد فيها العكبري أداءها بضم الباء من دون تنوين، فقال: "وقرأ آخرون بالضم، من غير تنوين".[٥١]

وبعدما حكم على هذا الأداء بالضعف قياسا؛ أخذ يوجهه لغةً، وكان من ذلك تعليله له بإرادة التخفيف بحذف التنوين، فقال: "... ويجوز أن يكون أراد التنوين فحذفه تخفيفا وهو ينويه".[٥٢]

وأما الموضع الآخر مما علل فيه حذف التنوين بالتخفيف فكان قوله تعالى: ﴿وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾[٥٣]، حيث أورد فيه أنه قرئ (عَمَرَةَ المسجدَ الحرامَ) بنصب الدال والميم من (المسجد) و(الحرام)[٥٤]، ثم قال: "وعلى هذا قد حذف التنوين تخفيفا".[٥٥]

---

[٤٩] لنماذج أخرى من حذف الساكن من المثلين المدغمين، ينظر إعراب القراءات الشواذ: (يستحيي) ١٣٩/١، و(كحبِّ الله) ٢٢٣/١ و(الحواريون)٣٢٢، و(مضار) ٣٧٥/١، و(بصرت) ٨٧/٢، و(الدواب)١٣٠/٢، و(العادين)١٦٨/٢، و(أناسي) ٢٠٣/٢، و(رادوه) ٢٥١/٢، و(ولا تعدُوا)٣١٣/٢.

[٥٠] سورة البقرة: ٢/٢.

[٥١] إعراب القراءات الشواذ: ١٠٩/١، وانظر أيضا تلك القراءة في: الكشاف: ٣٥/١، والبحر المحيط: ٦٢/١.

[٥٢] إعراب القراءات الشواذ: ١٠٩/١،

[٥٣] سورة التوبة: ١٩/٩.

[٥٤] القراءة منسوبة لسعيد ابن جبير في: المحرر الوجيز: ١٦/٣، و تفسير القرطبي: ٩١/٨، والبحر المحيط: ٣٨٨/٥، والدر المصون: ٣٢/٦، وانظر أيضا معجم القراءات (الخطيب): ٣٥٩/٣.

[٥٥] إعراب القراءات الشواذ: ٦١٢/١.

فقد وجه العكبري الأداء القرائي في الموضعين على نية التنوين، لكن نونه حذفت، وعلّل ذلك الحذف لصوت النون في الموضعين بالتخفيف.

وهذا الحذف لنون التنوين هو ما سماه بعض اللغويين بـ (توهم التنوين)، فقد ذكر الخليل في شعر أبي الأسود: [المتقارب]

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ وَلَا ذَاكِرَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا(٥٦)

أنه "نصب (ذكر الله) على توهّم التنوين؛ أي: ذاكرٍ الله".(٥٧)

ووصف الفراء ذلك الحذف لـ (نون التنوين) بالكثرة والجواز فقال: "وتركه كَثِير جائز ...فمن حذف النون ونصب قال: النية التنوين مع الجحد".(٥٨)

وأشار إليه أبو علي الفارسي وأن نون التنوين هنا في حكم المثبتة، فقال: "نصبوا الاسم مع حذف التنوين كما كانوا ينصبون مع إثباته لما كان المحذوف في حكم الإثبات".(٥٩)

غير أن الأخفش قد استقبحه، فقال: "كأنه إنما طرح التنوين لغير معاقبة إضافة وهو قبيح .... ولو جاز هذا البيت لقلت: (هم ضاربو زيدا) وهذا لا يحسن".(٦٠)

ثانيا: حذف الصائت:

مثلما علل العكبري حذف بعض الصوامت بالتخفيف، علل أيضا بالعلة ذاتها حذف الصوائت في بعض الأداءات التي رواها في كتابه إعراب القراءات الشواذ، وهو ما نتناول نماذج له فيما يلي:

١ـ حذف الصوائت القصيرة

اشتهر في لغة العرب حذف الصوائت القصيرة للتخفيف، وهو ما عرف بتسكين المتحرك؛ حتى إن سيبويه عقد لذلك بابا في كتابه ترجم له بعبارة: (هذا باب ما يسكن استخفافًا وهو في الأصل متحرك) (٦١)، وقوله (استخفافا) هنا بصيغة المفعول لأجله وزيادة الطلب (الألف والسين والتاء)، دليل على أن علة

(٥٦)البيت لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه: ٥٤.
(٥٧)العين: ٧٧/٢.
(٥٨)معاني القرآن للفراء: ٢٠٢/٢.
(٥٩)الحجة للقراء السبعة: ٤٥٤/٢.
(٦٠)معاني القرآن للأخفش: ٩٢/١.
(٦١)الكتاب: ١١٣/٤.

التخفيف هي الواقفة وراء ذلك التغير الصوتي بالحذف، وقال تحت هذه الترجمة: "وذلك قولهم في فخِذٍ: فخْذٌ، وفي كبِدٍ: كبْدٌ، وفي عضُدٍ: عضْدٌ، وفي الرَّجُل: رَجْلٌ، وفي كرُم الرجل: كرْم، وفي علِم: علْم، وهي لغة بكر بن وائل، وأناسٍ كثير من بني تميم".[٦٢]

ويرى الدكتور أحمد علم الدين الجندي أن اللهجة التميمية في حذف الحركات فرع على اللهجة الحجازية، وأن هذا الحذف يلائم عادات البدو في سرعة النطق لميلهم إلى الاقتصاد والجهد العضلي، ولا شك أن حذف الحركات فيه تيسير واقتصاد، وهو ما يسعى إليه التميمي البدوي، بخلاف الحجازي المتحضر، الذي يسعى إلى إعطاء كل صوت حقه من البيان.[٦٣]

وأشار ابن جني إلى الظاهرة نفسها، في قوله: "ما كان ثلاثيًّا مضموم الثاني أو مكسوره؛ فلك فيه الإسكان تخفيفًا، وذلك كقولك في (عَلم): (قد عَلْمَ)، وفي (ظرُف): (قد ظرْف)، وفي (رَجُل): (رَجْل)، وفي (كبِد): (كبْد) ... وقد سمع شيء من هذا الإسكان في المفتوح".[٦٤]

وعلى الرغم من أن العكبري قد أورد عددا من الأداءات التي حذفت فيها الحركة القصيرة، دون أن يعلل ذلك الحذف[٦٥]، فإنه في أداءات أخرى علل ذلك الحذف بالتخفيف؛ فقد ربط - بصورة واضحة- بين ذلك الحذف للحركة وبين التخفيف والفرار من الثقل، فقال: "وتسكين المضموم والمكسور جائز فرارا من ثقل الضمة والكسرة".[٦٦]

وقد تنوعت صور حذف الصائت القصير التي عللها العكبري بالتخفيف بتنوع الحركات الثلاثة، الضمة والكسرة والفتحة، وإن كان أغلب ما أورده من ذلك معللا بالتخفيف كان للضم والكسر أكثر من الفتح، فمن نماذج حذف

---

[٦٢] الكتاب: ١١٣/٤، وانظر أيضا: المقتضب: ١١٧/١، ولهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة: ١٤٨.

[٦٣] انظر: اللهجات العربية في التراث: ٢٤٦/١، وانظر أيضا: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: ٢٢١.

[٦٤] الخصائص: ٢٤٠/١.

[٦٥] انظر مثلا إعراب القراءات الشواذ: (هزوا) ١٧١/١، و(غلف)١٨٧/١، و(لمثوبة)١٩٤/١، و(نزلا)٣٦١/١.

[٦٦] إعراب القراءات الشواذ: ٣٩٤/١.

الصائت عنده ما جاء في قوله تعالى:﴿وَيُعَلِّمُكُمُ﴾[٦٧]؛ حيث قال في ذلك: "يقرأ بإسكان الميم[٦٨]، وهو من تخفيف المضموم، كما يخفف عَضُد".[٦٩]

ومنه قوله تعالى أيضا: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾[٧٠]؛ حيث أورد فيه أيضا تسكين الفاء المضمومة[٧١]، معلّلا تسكينها بالتخفيف، فقال: "ويُقرأ بإسكان الفاء، وليس بجزم، وإنما هو تخفيف.[٧٢]"

ومنه أيضا ما جاء في قوله تعالى: ﴿بِخُمُرِهِنَّ﴾[٧٣]، فقد أورد فيها تسكين الميم، ثم قال: "وهو من التخفيف .[٧٤]"

ومنه أيضا ما جاء قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ﴾[٧٥]؛ حيث أورد فيه القراءة بإسكان العين[٧٦]، وعلّل ذلك بالتخفيف، فقال: "يقرأ بفتح الواو، وإسكان السين ... والوجه فيه أنه خفف الكسرة وسكّن، كما قالوا في عَلِمَ: عَلْمَ".[٧٧]

وبمثله قال في قوله تعالى ﴿فَنَظِرَةٌ﴾[٧٨]؛ حيث أورد القراءة بإسكان الظاء[٧٩]؛ وعلل ذلك بالتخفيف فقال: "يقرأ بإسكان الظاء تخفيفا.[٨٠]"

---

[٦٧]سورة البقرة: ١٥١/٢.
[٦٨]عزيت إلى أبي زيد، انظر: الإتحاف: ١٧١، ومعجم القراءات (الخطيب): ٢١٦/١، وانظر: إعراب القراءات الشواذ: ٢١٧/١، حاشية رقم: (٤).
[٦٩]إعراب القراءات الشواذ: ٢١٧/١.
[٧٠]سورة البقرة: ٢٥٤/٢.
[٧١]نسبت لعاصم الجحدري، انظر: معجم القراءات (الخطيب):٣٤٣/١، وإعراب القراءات الشواذ:٢٥٩/١، حاشية رقم: ٤.
[٧٢]إعراب القراءات الشواذ: ٢٥٩/١.
[٧٣]سورة النور: ٣١/٢٤.
[٧٤]إعراب القراءات الشواذ: ١٨١/٢.
[٧٥]سورة البقرة: ٢٥٥/٢.
[٧٦]بلا عزو في البحر المحيط: ٦١٢/٢، والدر المصون: ٥٤٤/٢، ومعجم القراءات (الخطيب): ٣٦٢/١، وانظر أيضا: إعراب القراءات الشواذ: ٢٦٦/١ حاشية رقم ٩.
[٧٧]إعراب القراءات الشواذ: ٢٦٦/١.
[٧٨]سورة البقرة: ٢٨٠/٢.
[٧٩]انظر القراءة منسوبة لأبي رجاء مجاهد والحسن والضحاك وقتادة والوليد بن مسلم عن ابن عامر؛ في: مختصر ابن خالويه: ١٧، والمحتسب: ١٤٣/١، والكشاف: ٣٢٣/١، والبحر المحيط: ٧١٧/٢، والدر المصون: ٦٤٦/٢، ومعجم القراءات (الخطيب): ٤٠٨/١، وانظر أيضا: إعراب القراءات الشواذ: ٢٨٤/١، حاشية رقم:٩.
[٨٠]إعراب القراءات الشواذ: ٢٨٤/١.

وأما تسكين المفتوح فقد كان للعكبري منه موقف الكراهة كما كان موقف غيره من اللغويين، فمثلما قرر سيبويه أنهم "لا يقولون في جَمَلٍ: جَمْلٌ، ولا يخففون؛ لأن الفتح أخف عليهم"[٨١]، وأن التخفيف بالإسكان "لم يجئ في النصب؛ لأن الذين يقولون: كبدٌ وفخدٌ لا يقولون في جمْلٍ: جمْلٌ"[٨٢]، ومثلما قرر المبرد -أيضا - أنه "لا يجوز في مثل ذَهَب أن تسكَّن وَلَا فِي مثل جَمَلٍ، لَا يسكَّن ذَلِك اسْما وَلَا فِعْلا لخفَّة الفتحة وَثقل الكسرة والضمة"[٨٣]؛ نجد العكبري هو الآخر يقرر أن "المفتوح لا يُسَكَّن[٨٤]"، كما نجده في سياق تناوله لقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾[٨٥] يقول: "يقرأ بإسكان العين[٨٦]، وهو بعيد، والأشبه أن يكون لغة شاذة، ولا يحسن أن يقال إنه خفف، لأن المفتوح لا يخفف بالإسكان".[٨٧]

فنراه وجّه إسكان العين إلى أنه لغة في اللفظة، وليس تخفيفا، وقرّر الحكم الذي قرره سابقا من حيث عدم جواز ذلك.

غير أننا نجده -على الرغم من ذلك- يغُضُّ الطرف عن ذلك الحكم بعدم الجواز، ويعلّل بعض ما أُدِّي بإسكان المفتوح بعلّة التخفيف، وسنده في ذلك أن "السكون أخف من الفتحة على كل حال.[٨٨]"

ومن نماذج تعليل إسكان المفتوح بالتخفيف عنده ما ورد في قوله تعالى: ﴿فِيمَاشَجَرَبَيْنَهُمْ﴾[٨٩]، حيث أورد فيها أنه قرئ بإسكان الجيم من (شجر)[٩٠]، وبعد أن وجه ذلك الإسكان على أنه إسكان مكسور؛ حيث إن كسر

---

[٨١]الكتاب: ١٨٨/٤.
[٨٢]الكتاب: ٢٠٤/٤.
[٨٣]المقتضب: ١١٧/١.
[٨٤]إعراب القراءات الشواذ: ١٩٠/١، وانظر أيضا: ٣٩٤/١.
[٨٥]سورة المائدة: ٩٥/٥.
[٨٦]انظر القراءة منسوبة إلى الحسن في: مختصر ابن خالويه: ٣٥، والكشاف: ٦٧٩/١، والبحر المحيط: ٣٦٥/٤، والدر المصون: ٤٢١/٤، ومعجم القراءات (الخطيب): ٣٤١/٢، وانظر أيضا إعراب القراءات الشواذ: ٤٥٧/١ حاشية رقم: ٤.
[٨٧]إعراب القراءات الشواذ: ٤٥٧/١.
[٨٨]إعراب القراءات الشواذ: ٣٩٤/١.
[٨٩]سورة النساء: ٦٥/٤.
[٩٠]انظر القراءة منسوبة لأبي السمال في: المحرر الوجيز: ٧٤/٢، والبحر المحيط: ٦٩٥/٣، والدر المصون: ٢٠/٤، ومعجم القراءات (الخطيب): ٩٩/٢، وانظر أيضا: إعراب القراءات الشواذ: ٣٩٣/١، حاشية رقم: ١٢.

الجيم ربما يكون لغة في (شجر)، عاد وجعل الإسكان فيها يمكن أن يحمل على أنه من تخفيف المفتوح، فقال: "ويحتمل أن يكون سكن المفتوح، لأن السكون أخف من الفتحة على كل حال" [٩١]

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ﴾[٩٢]، حيث أورد في ميم (الجمل) الأداء بالإسكان[٩٣]، فقال: "وهو من تخفيف المفتوح لكثرة الحركات، وهو ضعيف".[٩٤]

وعبارة العكبري "لكثرة الحركات" هي ما تفسر حذف الصائت في هذه النماذج المذكورة وغيرها من نماذج إسكان المتحرك التي أوردها في كتابه وعللها بالتخفيف؛ حيث إن الذي أراه في ذلك أن الحركة حُذفت فرارا من توالي الأمثال وهي الحركات الأخرى قبلها وبعدها، وهو نوع من التخفيف أيضا، ففي المثال الأول: (يعلّمُكُمُ)، نجد أن ضمة الميم مسبوقة بكسرة اللام، ومتبوعة بضمة الكاف، ويكون شكل النظام المقطعي للكلمة كالتالي:

يُ	عَلْ	لِ	مُ	كُ	مُلْ[٩٥]
ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص

فتوالى في البناء الصوتي للفظة ثلاثة مقاطع من نوع واحد (القصير المفتوح)، وهي المقاطع (لِ)، و(مُ) و(كُ)، فكان هناك ميل لدى أصحاب ذلك الأداء – أداء إسكان الميم- إلى التخلص من ذلك التكرار والتوالي لهذه الأمثال، فكان الإسكان الذي أحدث كسرا في هذا التماثل المتكرر بما يعرف بالمخالفة الصوتية، ومن ثم أصبح النظام المقطعي للفظة بعد حذف حركة الميم (الضمة)، كالتالي:

يُ	عَلْ	لِمْ	كُ	مُلْ
ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح ص

[٩١] إعراب القراءات الشواذ: ٣٩٤/١.
[٩٢] سورة الأعراف: ٤٠/٧.
[٩٣] انظر القراءة منسوبة لأبي السمال وأبي الجوزاء والمتوكل في: مختصر ابن خالويه: ٤٣، والمحتسب: ٢٤٩/١، والمحرر الوجيز: ٤٠٠/٢، وتفسير القرطبي: ٢٠٧/٧، والبحر والمحيط: ٥١/٥، والدر المصون: ٣٢١/٥، ومعجم القراءات (الخطيب): ٤٨/٣، وانظر أيضا: إعراب القراءات الشواذ: ٥٣٨/١، حاشية رقم: ٧.
[٩٤] إعراب القراءات الشواذ: ٥٣٨/١.
[٩٥] هذه اللام هي لام التعريف من الكلمة التالية للفظة يعلمكم؛ اقتضت الكتابة المقطعية إثباتها حيث إنها صوت مكون للمقطع الأخير من لفظة (يعلمكم) التي نعالجها في المثال.

وهذه المخالفة وكسر توالي الأمثال، هو ما يفسر التخفيف الذي قاله العكبري معللا به حذف ضمة الميم.

والأمر نفسه في النموذج الثاني (فيضاعفُه)؛ حيث كان إسكان الفاء أيضا فرارا من توالي الأمثال، الذي هو مستثقل لذاته عند العرب، فقبْل حذف ضمة الفاء كان النظام المقطعي للفظة على الشكل التالي:

فَ	يُ	ضا	ع	فُ	هو
ص ح	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح ح

فنلحظ توالي المقطعين (ع) و(فُ)، وهما من النوع القصير المفتوح (ص ح)، فأدى حذف حركة الفاء (الضمة القصيرة) كسر هذا التوالي بالمخالفة الصوتية بينهما بدمجهما معا وإنتاج مقطع جديد مختلف عنهما، من نوع القصير المغلق، فصار النظام المقطعي للفظة بعد الحذف كالتالي:

فَ	يُ	ضا	عِفْ	هو
ص ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ح

ولعل وجود المقطعين الأول والثاني في اللفظة (فَ) و (عَ) من نفس النوع القصير المفتوح (ص ح)، وكذلك التقارب الشديد بين المقطع الثالث منها (ضا) وبين المقطعين المدمجين المحولين حيث لا فارق بينهما إلا في طول الحركة فقط؛ أقول لعل ذلك كان من دواعي الميل أيضا إلى حذف الضمة بغية الفرار من توالي الأمثال عند من حذفوها وأدوا بإسكان الفاء من اللفظة.

وأما النموذج الثالث (بِخُمْرِهِنَّ)، فإسكان الميم فيه جاء فرارا من توالي الأمثال أيضا، فأريد التخفيف بكسر هذا التوالي، حيث إن شكل النظام المقطعي للفظة قبل الإسكان وحذف الحركة كان كالتالي:

بِ	خُ	مُ	رِ	هِنْ	نَ
ص ح	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح

فنجد أربعة المقاطع الأولى تتوالى متماثلة من نوع المقطع القصير الفتوح (ص ح)، فيأتي إسكان الميم بحذف الحركة (الضمة القصيرة)، ليكسر ذلك التوالي بما يحدثه من مخالفة صوتية بدمج المقطعين الثاني (رخُ) والثالث (مُ)، وإنتاج مقطع جديد منهما من نوع مختلف – قصير مغلق- (ص ح ص) ليصبح شكل النظام المقطعي للفظة بعد الحذف كالتالي:

بِ	خُمْ	رِ	هِنْ	نَ
ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح

فأصبح البناء الصوتي والنظام المقطعي للفظة خاليا توالي الأمثال، وهو ما جعل العكبري وغيره يعلل ذلك الحذف المفضي إلى تلك المخالفة الصوتية بإرادة التخفيف.

والأمر ذاته في نماذج (وسع)، و(نظرة)، و(الجمل)؛ حيث أن النظام المقطعي في ثلاثتها تتوالى فيه المقاطع من نوع (المقطع القصير المفتوح): (ص ح)، فيؤدي إسكان المتحرك منها إلى دمج اثنين من هذه المقاطع المتماثلة، وتحويلهما إلى مقطع من النوع القصير المغلق (ص ح ص)، فتحدث المخالفة الصوتية، وينكسر ذلك التوالي، فيحدث التخفيف الذي يُفسر به ذلك الإسكان للمتحرك.[٩٦]

٢-حذف الصوائت الطويلة:

كان من مظاهر الحذف في الأداء التي عللها العكبري بالتخفيف أيضا في إعراب القراءات الشواذ؛ حذف الصوائت الطويلة: (الألف والياء والواو)، وهذا الحذف في حقيقته هو حذف لنصف الصائت الطويل، وليس حذفا كاملا له، فهو تقصير للصائت الطويل وتحويله إلى صائت قصير؛ حيث إن الصوائت القصيرة ما هي إلا أبعاض الصوائت الطويلة، كما قال ابن جني: "اعلم أن

---

[٩٦] لنماذج أخرى من تعليلات العكبري لحذف الصائت القصير بالتخفيف؛ انظر إعراب القراءات الشواذ: (عليهمْ) ١/ ١٠٢، و(أرنا) ٢٠٦/١، (على عقبيه) ٢١٢/١، و(قضْي) ٢٤٤/١، و(فرُهْن) ٢٩٢/١، و(كثبه) ٢٩٧/١، و(وهْنوا) ٣٥٠/١، و(نُزْلا) ٣٦١/١، و(صدْقاتهن) ٣٦٧/١، و(الثلث والسدس والربع والثمن) ٣٧٣/١، و(حسْن) ٣٩٤/١، و(أنْثا) ٤١٠/١، و(حُرْم) ٤٢٥/١، و(السَّبْع) ٤٢٨/١، و(فأواريْ) ٤٣٦/١، و(الأدْن) ٤٤٠/١، و(عُبْد) ٤٥٠/١، و(لُعْنوا) ٤٥١/١، و(ثُمْره) ٥٠٠/١، و(نذرْهم) ٥٠٨/١، و(قُبْلا) ٥٠١/١، و(الجُمْل) ٥٣٩/١، و(نُشْرا) ٥٤٦/١، و(بُشْرا) ٥٤٨/١، و(نكدا) ٥٥٠/١، و(يذرْك) ٥٥٦/١ و(يا ابن أميْ) ٥٦٤/١، و(وليْ) ٥٨١/١، و(تذهبْ ريحكم) ٥٩٧/١، و(رُبْط) ٦٠١/١، و(رحْبت) ٦١٢/١، و(نجْس) ٦١٣/١، و(قُبْل، ودُبْر) ٦٩٤/١، و(المثلات) ٧٢٣/١، و(حسْن مآب) ٧٢٧/١، و(كِلْمة) ٧٣٥/١، و(عنقه) ٧٧٩/١، و(رجْلِك) ٧٩٥/١، ، (ولا يشركْ) ١٢/٢، و(فرْطا) ١٣/٢، و(ثُمْر) ١٧/٢، و(عقْبا) ٢١/٢، و(عَضْدا) ٢٤/٢، و(حُقْبا) ٢٥/٢، و(عسرا، ونكرا، وعذرا) ٢٨/٢، و(زُبْر) ٣٤/٢، و(نخلْه) ٧٣/٢، و(فنسي) ٨٥/٢، و(تتبعني) ٨٦/٢، (نحشرْه) ٩٦/٢، و(يحدثْ) ٩٤/٢، و(الصُّحْف) ٩٩/٢، و(نُجِّي) ١١٤/٢، و(حَرْم) ١١٧/٢، و(أذنْ) ١٣٦/٢، و(حرْمات) ١٣٧/٢، (لا ينكحْ) ١٧٢/٢، و(خلق) ٢٢٢/٢، و(جنُب) ٢٥٣/٢، و(ثمْرات) ٢٦٤/٢، و(ولنحمل) ٢٧١/٢، (وليتمتعوا) ٢٧٦/٢، و(نزْلا) ٢٩٨/٢، و(العرْم) ٣٢٧/٢.

الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة، والكسرة، والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو".[٩٧]

وقد أشار العكبري أيضا إلى هذه العلاقة الكمية بين الحركات الطويلة والحركات القصيرة، فذكر في غير موضع أن "الياء مقدَّرة بكسرتين"[٩٨]، وأن "الواوَ مقدَّرةٌ بضمّتين"[٩٩]، وهو الرأي ذاته عند المحدثين، فمثلا يذكر الدكتور رمضان عبد التواب على أن "الفرق بين الحركات القصيرة والطويلة فرق في الكمية لا في الكيفية، بمعنى أن وضع اللسان في كليهما واحد، ولكن الزمن يقص ويطول في كل صوت، فإذا قصر كان الصوت قصيرا، وإذا طال كان الصوت طويلا، والذي يحدد الطول والقصر هنا هو العرف اللغوي عند أصحاب اللغة".[١٠٠]

غير أننا عددنا ذلك من الحذف؛ لأن حذفا تم فيه على كل حال سواء كان حذفا كاملا أو حذفا لجزئه.

وهذا النوع من الحذف لبعض الصائت الطويل، أو بعبارة أخرى تقصيره؛ لفت إليه ابن جني في الخصائص، فقد عقد بابا ترجم له بقوله: (باب في إنابة الحركة عن الحرف والحرف عن الحركة)، وذكر من الشواهد من كلام العرب ما يدل عليه.[١٠١]

وقد أورد العكبري -كما ذكرنا- عددا من الأداءات حدثت فيها تلك المخالفة الكمية بين المقاطع المتمثلة في تقصير الصائت الطويل وتحويله إلى صائت قصير من جنسه، معلّلا إياها بالتخفيف، وكان من ذلك ما جاء في قوله تعالى: و﴿وَرُبَٰعَ﴾[١٠٢]؛ حيث أورد العكبري أداءها بغير ألف[١٠٣]، ووصفه بأنه حذف الألف، ثم علّل ذلك الحذف بالتخفيف، فقال: "ويُقرأ بغير ألف، حذفها تخفيفا.[١٠٤]"

---

[٩٧] سر صناعة الإعراب: ٣٣/١.
[٩٨] اللباب في علل البناء والإعراب: ٨١/١، و٤٨٣/١.
[٩٩] اللباب في علل البناء والإعراب: ٢٩١/٢، و٢٩٥/٢، و٣٥٣/٢.
[١٠٠] المدخل إلى علم اللغة: ٩٦، وانظر أيضا: الصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس: ٣٦، و١٢٨، وعلم اللغة العام د. كمال بشر: ٨٣، ودراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر: ٢٨٢.
[١٠١] الخصائص: ١٣٥/٣.
[١٠٢] سورة النساء: ٣/٤.
[١٠٣] انظر المحتسب: ١٨١/١، والبحر المحيط: ٣٠٥٠٦، والدر المصون: ٥٦٥/٣، ومعجم القراءات (الخطيب): ١٠/٢، وانظر أيضا: إعراب القراءات الشواذ: ٣٦٦/١، حاشية رقم: ٢.
[١٠٤] إعراب القراءات الشواذ: ٣٦٦/١.

ويستدل ابن جني على أن تقصير الحركة في هذا الأداء إنما كان للتخفيف بأن اللفظة بقيت غير منصرفة كما كانت قبل الحذف، فيقول: "ويقوِّي أنه أراد (رباع) ثم حذف الألف؛ تركُ صرفه كما كان قبل الحذف غير مصروف".[١٠٥]

ومما علله بالتخفيف أيضا ما جاء في قوله تعالى: ﴿بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾[١٠٦] ؛ حيث ذكر فيه أيضا قراءته بغير ألف، أي (بما لم يَنَلوا)[١٠٧]؛ وذكر أن ذلك الحذف على إرادة الألف، فقال: "والأشبه أنه حذفها وهو يريدها".[١٠٨]

ومثله ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ﴾[١٠٩]؛ فقال أيضا: "يقرأ بغير ألف حذفها وهو يريدها".[١١٠]

وعبارته: (حذفها وهو يريدها) في الموضعين؛ عبارة دالة على أن الحذف هنا إنما كان للتخفيف، ليس غير.

وأرى أن تقصير الصائت الطويل هنا جاء لما يسميه الدكتور مضان عبد التواب بـ (المخالفة الكمية بين المقاطع الصوتية)[١١١]، وهو ما يضرب له مثلا بحركة ضمير المفرد الغائب في العربية الفصحى، "فالأصل في هذه الحركة هو الضمة الطويلة، وتحدث له المماثلة الصوتية مع الكسرات قبله ... فتحتفظ العربية الفصحى بالطول في حركته بعد المقاطع القصيرة مثل: (له) = (لهو)؛ و(به) = (بهي).. وغير ذلك، كما تقصر حركته في العربية بعد المقاطع الطويلة عن طريق المخالفة الكمية بين المقاطع، فيقال مثلا: (فيه) بدلا (فيهي)؛ و (منه) بدلا : (منهو) وغير ذلك".[١١٢]

فإذا نظرنا إلى البناء الصوتي للفظة (ينالوا) قبل تقصير الصائت الطويل وبعده، نجده كالتالي:

---

[١٠٥] انظر المحتسب: ١٨١/١.
[١٠٦] سورة التوبة: ٧٤/٩.
[١٠٧] القراءة منسوبة لأبي البَرهْسَم في الشوارد للصاغاني: ٢١، وانظر أيضا: معجم القراءات (الخطيب): ٤٢٦/٣.
[١٠٨] إعراب القراءات الشواذ: ٦٢٦/١.
[١٠٩] سورة التوبة: ٨٣/٩.
[١١٠] إعراب القراءات الشواذ: ٦٢٨/١.
[١١١] التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: ٦٧.
[١١٢] التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: ٦٧.

قبل التقصير	يَ ص ح	نا ص ح ح	لو ص ح ح
بعد التقصير	يَ ص ح	نَ ص ح	لو ص ح ح

فإن تقصير الصائت الطويل (الألف) في المقطع الثاني (نا) قد أدى إلى المخالفة الكمية بينه وبين المقطع التالي له (لو).

وكذلك الأمر في لفظة (الخالفين)؛ حيث إن نظامهما المقطعي قبل تقصير الصائت الطويل وبعده كالتالي:

قبل التقصير	خا ص ح ح	ل ص ح	في ص ح ح	نَ
بعد التقصير	خَ ص ح	ل ص ح	في ص ح ح	ن ص ح

فكذلك تغير المقطع الطويل المفتوح (خا) إلى مقطع قصير مفتوح: (خَ)؛ ليغاير المقطع الثالث: (في) من ناحية الكم، ومن ثم يكون التخفيف في الأداءين من جهتين؛ إحداهما: أنه تقصير للحركة؛ أي تقليل من الجهد المبذول لنطقها، والأخرى: أنه مخالفة بين المقطعين المتواليين متماثلين، وهذا وإن أدى إلى تماثل بين المقاطع القصيرة المفتوحة بعد التغيير؛ فإن تكرار المقطع القصير المفتوح أخف في كل الأحوال من تكرار الطويل المفتوح، وعليه يكون تفسير تعليل العكبري وغيره لتلك الأداءات بالتخفيف.[١١٣]

[١١٣] لنماذج أخرى على تعليل العكبري لتقصير الصوائت التالية؛ انظر: إعراب القراءات الشواذ: (قياما) ١/ ٣٦٨، و(تماما) ٥٢٢/١، و(غواش) ٥٤١/١، و(نهرا) ٦٤٦/١، و(حاشى لله) ١/ ٧٠١، و(قانِع) ١٤٢/٢، و(كالحون) ١٦٦/٢.

ثالثا: حذف صامت + صائت:

أحيانا لا يُكتفى لتحقيق التخفيف بحذف الصامت وحده من الكلمة، أو حذف الصائت وحده، كما رأينا في النماذج السابقة، بل يكون التخفيف بحذفهما معا، وكان لذلك نماذج في إعراب القراءات الشواذ، منها ما يلي:

- حذف الهمزة مع صائت (الفتحة القصيرة) التي قبلها من لفظة ﴿مَغَارِبُ﴾، في قوله تعالى ﴿وَلِيَ فِيهَا مَغَارِبُ أُخْرَىٰ﴾[١١٤]، فقد أورد العكبري أداءها بغير همزة، فقال: "يُقرأ بغير همز[١١٥]، وذلك على التليين.[١١٦]"

فقوله "وذلك على التليين" فيه إيماء إلى علة التخفيف، وتليين الهمزة هنا لا يعني إبدالها حرفا آخر، وإنما يعني حذفها تمامًا[١١٧]؛ فرارا من ثقلها.

والذي نجده هنا في هذا الأداء أنه لم يحذف الهمزة فقط، وإنما حذف معها حركة قصيرة أيضا وهي وهي حركة الميم السابقة على الهمزة بحسب ما أرى.

ويمكن تمثيل ما حدث من تغير في البناء الصوتي للفظة قبل الحذف وبعده بالشكل التالي:

قبل الحذف	مَ	ءا	ر	بُ
	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح
بعد الحذف	ما		ر	بُ
	ص ح ح		ص ح	ص ح

فقد حُذفت الهمزةُ فالتقت الحركتان (الفتحة القصيرة التي تلي الميم، والطويلة التي تلي الهمزة المحذوفة، فسقطت الفتحة القصيرة أيضا، وبقيت الطويلة منهما؛ بما أدى إلى تغير في النظام المقطعي للفظة؛ حيث صار عدد مقاطع اللفظة أقل مقطعا من عددها قبل الحذف كما هو مبين في الشكل، وكذلك صار المقطع الأول من مقاطعها طويلا مفتوحا بعد أن كان قصيرا مفتوحا قبل الحذف، وهو ما يفسر ما يمكن أن يرى أنه تخفيف فيها بهذا الأداء القرائي المذكور بحذف الهمزة.

---

[١١٤] سورة طه: ١٨/٢٠.

[١١٥] قراءة الزهري وشيبة، انظر: البحر المحيط: ٣٢٣/٧، الدر المصون: ٢٦/٨، وروح المعاني: ٤٩٠/٨، ومعجم القراءات القرآنية (الخطيب): ٤٢٥/٥.

[١١٦] إعراب القراءات الشواذ: ٦٩/٢.

[١١٧] انظر: الأصوات اللغوية:٧٣، والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ١٠٥.

-ومن ذلك أيضا ما أورده العكبري في قوله تعالى ﴿فَلِأُمِّهِ﴾[١١٨] من أنه قرئ بإلقاء الهمزة، فقال: "ويُقرأ بحذف الهمزة وذلك لكثرة الاستعمال".[١١٩]

وإلقاء الهمزة هنا يستوجب إلقاء حركتها معها، ومن ثم يكون المحذوف في الأداء القرائي ليس صامت الهمزة فقط، وإنما الهمزة والصائت المصاحب لها أيضا، وهو الضمة.

وعبارة العكبري: (وذلك لكثرة الاستعمال) هي العبارة الدالة على تعليله ذلك الحذف بالتخفيف؛ فهي من العبارات الدالة على إرادة التخفيف وطلبه عنده وعند غيره من اللغويين؛ حيث إنها تعني "أن يكثر دور الكلمة فتكون أولى بالتخفيف من غيرها".[١٢٠]

ويمكن وصف ما حدث من تغير في البنية الصوتية للفظة قبل الحذف وبعده بالشكل التالي:

قبل الحذف	فَ ص ح	لِ ص ح	أُمْ ص ح ص	مِ ص ح	ـهِ ص ح
بعد الحذف	فَ ص ح	لِمْ ص ح ص		مِ ص ح	ـهِ ص ح

فقد حذف الهمزة وحركتها إلى تغير في النظام المقطعي للكلمة بحذف مقطع كامل وهو المقطع القصير المغلق (ص ح ص)، وكان ترتيبه المقطع الثالث في البناء الصوتي، وهذا الحذف أدى إلى تحول المقطع السابق له في الترتيب من مقطع قصير مفتوح إلى مقطع قصير مغلق، ومن ثم أصبح عدد المقاطع التي يتكون منها البناء الصوتي للكلمة أربعة بدلا من خمسة قبل الحذف، ولعل ذلك الاختزال في العدد هو ما قد يفسر التخفيف المظنون فيها عند أدائها ذلك الأداء المبني على حذف الهمزة وحركتها.

-ومنه أيضا ما أورده العكبري في قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾[١٢١]؛ حيث أورد العكبري فيها القراءة بحذف الهمزة مشيرا إلى علة التخفيف،

---

[١١٨] سورة النساء: ١١/٤.
[١١٩] إعراب القراءات الشواذ: ٣٧٣/١.
[١٢٠] الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: ٢٧٦، وانظر أيضا: اللغة (فندريس): ٢٧٤، والأصوات اللغوية: ٢٣٧، ودراسة الصوت اللغوي: ٣٧٥.
[١٢١] سورة الأنفال: ٧/٨.

فيقول: "يقرأ بحذف الهمزة في الوصل[١٢٢]، شبهها بهمزة الوصل، وقوَّى ذلك أنها مكسورة بعد ضمة، وفي ذلك ثقل.[١٢٣]"

وفي هذا النص نجد عللا متداخلة معا -وليس علة احدة - وراء أن يكون هذا الأداء القرائي بهذه الصورة، فقياسا على همزة الوصل حُذفت الهمزة من (إحدى)، وكونها مكسورة بعد ضم يؤدي إلى ثقل في أدائها، ومن ثم يُفرُّ من ذلك الثقل أو يُطلب تخفيفُه، فكان الأداء القرائي بحذفها مصحوبة بحركتها (الكسرة)، ومن ثم تكون إرادة التخفيف أوجبت حذف الصامت والصائت المصاحب لها معا.

وقد ذهب السمين الحلبي مذهبَ العكبري عينه في أن هذا الحذف كانت علته التخفيف، وذلك حينما قال: "وقرأ ابن محيصن: (يَعِدُكُم اللّه احْدى) بوصل همزة (إحدى) تخفيفًا.[١٢٤]"

ويوضح الشكل التالي البناء الصوتي للفظة وما حدث فيه من تغيرات بعد الحذف:

قبل الحذف	ـهُ	إحْ	دَى
	ص ح	ص ح ص	ص ح
بعد الحذف	هُحْ		دَى
	ص ح ص		ص ح

فقد أدى حذف الهمزة وحركتها إلى تغير في النظام المقطعي للفظة (إحدى) حيث كانت تبدأ بالمقطع القصير المغلق (إحْ)، وبعد حذف الهمزة وحركتها بقيت الحاء ساكنة وحدها، فألحقت بالمقطع السابق لها في لفظ الجلالة (الله)، مُحَوِّلةً إياه من مقطع قصير مفتوح (ـهُ) إلى مقطع قصير مغلق (هُحْ)، ومن ثم يكون التخفيف المقولُ في الأداء بالحذف.

-ومن حذف الصامت مع صائت أيضا؛ حذف المتحرك من المشدد، فقد ذكر العكبريُّ في عدد من المواضع أداءاتٍ جاءت بذلك، وهو ما يعني حذف (صامت + حركة)، ومن المواضع التي عَلل فيها ذلك الحذف بعلة التخفيف ما

---

[١٢٢] نسبت لابن محيصن، انظر: المحتسب: ٢٧٢/١، ومختصر ابن خالويه: ٤٩، والمحرر المجيز: ٥٠٣/٢، والبحر المحيط: ٢٧٧/٥، والدر المصون: ٥٦٤/٥، ومعجم القراءات القرآنية (الخطيب): ٢٦٠/٣.

[١٢٣] إعراب القراءات الشواذ: ٥٨٥/١.

[١٢٤] الدر المصون: ٥٦٤/٥.

جاء في قوله تعالى ﴿لَا تُضَآرَّ﴾[١٢٥]؛ حيث أورد فيها القراءة بسكون الراء وتخفيفها[١٢٦]، ثم قال معللا ذلك بالتخفيف: "حذف إحدى الراءين، وهي الثانية تخفيفا."[١٢٧]

ولم يكن العكبري وحده القائل بعلة التخفيف في ذلك الحذف، فقد علله أيضا ابن جني بذلك عند ذكره لتلك القراءة، فقال: "حذف إحدى الراءين تخفيفًا، وينبغي أن تكون المحذوفة الثانية؛ لأنها أضعف، وبتكريرها وقع الاستثقال."[١٢٨]

وفي الأداء ذاته لفت السمين الحلبي إلى أن الاستثقال ليس ناتجا عن تكرار صوت الراء مرتين وحسب؛ بل إن الراء الواحدة صوت فيه تكرير في ذاته، ومن هنا يأتي ثقله، فقال في ذلك: "إنما استثقل تكريرَ حرفٍ هو مكررٌ في نفسِه فَحَذَفَ الثانيَ منهما".[١٢٩]

ويمكن توضيح التغير في البناء الصوتي للفظة بالشكل التالي:

قبل الحذف	تُ	ضارْ	رَ
	ص ح	ص ح ح ص	ص ح
بعد الحذف	تُ	ضارْ	
	ص ح	ص ح ح ص	

فبعد أن كانت اللفظة تتكون في بنائها الصوتي من ثلاثة مقاطع، أصبحت تتكون من مقطعين فقط؛ حيث أدى حذف (الراء) مع حركتها (الفتحة القصيرة) إلى حذف المقطع الأخير منها، ومن ثم يكون التخفيف الذي ذكره العكبري وغيره، وعللوا به الحذف في الأداء القرائي المذكور.

-ومن حذف الصامت مع الصائت أيضا، ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾[١٣٠]، فقد قال فيها العكبري: "من خفَّف[١٣١] حذف الثانية؛ لحصول الثقل بها".[١٣٢]

---

[١٢٥] سورة البقرة: ٢٣٣/٢.
[١٢٦] انظر هذه القراءة منسوبة للأعرج وأبي جعفر الصفار في: المحتسب: ١٢٣/١، والكشاف: ٢٨٠/١، والبحر المحيط ٥٠٢/٢، والدر المصون ٤٦٧/٢، ومعجم القراءات (الخطيب): ٣٢٤/١.
[١٢٧] إعراب القراءات الشواذ: ٢٥٣/١.
[١٢٨] المحتسب: ١٢٣/١.
[١٢٩] الدر المصون ٤٦٧/٢
[١٣٠] سورة آل عمران: ٢٧/٣.
[١٣١] هي قراءة أبي بكر عن عاصم، وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وابن محيصن واليزيدي والحسن، انظر: السبعة: ٢٠٣، والنشر: ٢٢٤/٢-٢٢٥، والبحر المحيط: ٩٠/٣، والدر المصون: ١٠٣/٣، والإتحاف: ٢٢١.
[١٣٢] إعراب القراءات الشواذ: ٣١٠/١.

فالملاحظ في كلام العكبري أنه لم يرد الاختلاف في الأداءين إلى اختلاف في المعنى كما فعل غيره، فمن اللغويين والمفسرين من جعل (الميّت) بالتشديد لما لم يمت لكنه سيموت و(الميْت) بالتخفيف لما مات حقيقة[١٣٣]، وإنما جعل الأداءين بمعنى واحد لا فرق بينهما عنده غير أن أحدهما تخفيف لثقل الآخر.

وبمثل رأي العكبري قال أبو منصور الأزهري في معاني القراءات، مصرحا بخطأ التفريق بين الأداءين دلاليا، وأنه الأمر فيهما لا يعدو كون أحدهما صورة مخففة فرارا مما قد يوجد من ثقل في الأداء الآخر، فقال: " مَنْ قَرَأَ (الْمَيِّتَ) مشددًا فهو الأصل، ومن قرأ (الْمَيْتَ) مخففا فالأصل فيه التشديد، وخفف، ونظيره قولهم: هيِّن وهَين، وليِّنُ، ولينُ .... وأما من قال: (الْمَيِّت): ما لم يَمُت ووجهه إلى الموت، و(الْمَيْت): ما قد مات، فهو خطأ، يقال للذي مات: مَيِّت ومَيْت، ولما سَيَمُوت ولم يمت: مَيِّت ومَيْتُ".[١٣٤]

فالأمر عند العكبري ومن قبله الأزهري ما هو إلا تخفيف للثقل الذي في الياء حال تشديده.

ويوضح الشكل التالي ما حدث من تغير في صوتي في بناء اللفظة بعد حذف الياء وحركتها منها:

قبل الحذف	مَيْ	ي	تَ
	ص ح ص	ص ح	ص ح
بعد الحذف	مَيْ		تَ
	ص ح ص		ص ح

فالذي حدث هو حذف مقطع صوتي كامل، وهو المقطع القصير المفتوح (يَ) من البناء الصوتي للفظة، ومن ثم يؤدي ذلك إلى ما ذكر من تخفيف.[١٣٥]

---

[١٣٣] انظر مثلا: المحكم لابن سيده: (م و ت) ٥٤٣/٩، و اللسان: (م و ت) ٩١/٢.
[١٣٤] معاني القراءات: ٢٤٩/١، وانظر أيضا معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٤٤/٢.
[١٣٥] لأمثلة أخرى على حذف (صامت + صائت) معلّلًا بالتخفيف؛ انظر: (الطير) ٣١٩/١، و(الغيْط) ٣٩٠/١، و(بيْس) ٥٧٠/١، و(طيف) ٥٨٢/١، و(بألف) ٥٨٦/١، و(الجودي) ٦٦٣/١، و(سيْغا) ٧٦٧/١، و(أف) ١/ ٧٨٥، و(هَيْن) ٤٢/٢، و(ظلْتُ) ٩٠/٢، (ريع)، ٢٢٠/٢، و(أيْما) ٢٥٨/٢، و(يا بنيْ) ٢٨٧/٢، و٢٨٨.

المبحث الثاني

التخفيف بالإبدال

كان الإبدال بين الأصوات مظهرا من مظاهر إرادة التخفيف -أيضا- كما كان الحذف الذي تناولناه في المبحث السابق، ومقصودنا بالإبدال هنا اشتمال المصطلح على التحول بين الصوامت والصوائت جميعا، وليس اقتصاره على الصوامت وحدها دون الصوائت؛ إذ إنه يعرف بأنه (جعل حرف مكان حرف أو حركة مكان أخرى"[١٣٦]

وقد أورد العكبري عددا من الأداءات التي حدث فيها إبدال بين بعض الأصوات وبعضها الآخر، وعلل ذلك بالتخفيف، واقتصر ذلك عنده على إبدال الهمزة صائتا، أو العكس، أو إبدال الصوائت بعضها من بعض، ونعرض نماذج من ذلك فيما يلي:

أولا: إبدال الهمزة ياء أو واوا أو ألفا:

تبدل الهمزة ياء تخفيفا لها إذا سكنت وانكسر ما قبلها، أو وقعت بعد ياء، أو وقعت بعد همزة مكسورة[١٣٧]؛ وربما لا يكون من ذلك شيء وتبدل ياء أيضا، يقول ابن جني في ذلك: "وقد أبدلوا الهمزة ياء لغير علة إلا طلبا للتخفيف، وذلك قولهم في (قرأت): (قريت) وفي (بدأت): (بديت) وفي (توضأت): (توضيت)".[١٣٨]

وقد ذكر العكبري عددا من المواضع التي أبدلت فيها الهمزة ياء معللا ذلك بالتخفيف، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾[١٣٩]، فقد أورد أداء لفظتي (خطيئة وبريئا) في الشواذ بالياء بدلا من الهمز[١٤٠]، ونصّ على أن علة ذلك الإبدال هي التخفيف، فقال: "يقرأ فيهما بالياء بدل الهمزة للتخفيف .[١٤١]"

---

[١٣٦] اللهجات العربية للدكتور إبراهيم نجا: ٧١.
[١٣٧] انظر: سر صناعة الإعراب: ٣٦٨/٢.
[١٣٨] انظر سر صناعة الإعراب: ٣٦٩/٢.
[١٣٩] سورة النساء: ١١٢/٤.
[١٤٠] انظر القراءة في مختصر ابن خالويه: ٢٨، معجم القراءات (الخطيب): ١٥١/٢، وانظر: إعراب القراءات الشواذ: ٤٠٨/١، حاشية رقم: ٧.
[١٤١] إعراب القراءات الشواذ: ٤٠٨/١.

ومثله أيضا ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[١٤٢]؛ حيث جعل القراءة بالياء -في أحد توجيهاته لها- أنها تخفيف الهمزة، فقال: "ومنهم من لا يهمز، فإما أن يكون خفف الهمزة، وإما أن يكون أخذه من (يذرو)".[١٤٣]

وإبدال الهمزة المتحركة ياء بعد الياء؛ ذكره جمهرة من اللغويين والنحاة، فقال سيبويه -مثلا- في ذلك: "وإذ كانت الهمزة المتحركة بعد واوٍ أو ياء زائدةٍ ساكنة لم تلحق لتلحق بناءً ببناءٍ، وكانت مدَّةً في الاسم والحركة التي قبلها منها بمنزلة الألف، أبدل مكانها واوٌ إن كانت بعد واو، وياءٌ إن كانت بعد ياء .... وذلك قولك في (خطيئةٍ): (خطيَّة)، وفي (النَّسيء): (النَّسيٌّ) يا فتى، وفي: (مقروء)، و(مقروءةٍ): (هذا مقروٌّ، وهذه مقروةٌ)، وفي: (أفيئس) وهو تحقير أفؤسٍ: (أفيّسٌ)، وفي (بريئةٍ): (بريَّة)".[١٤٤]

ومنهم من نص صراحة على أن غاية هذا الإبدال التخفيف، فيقول المبرد في هذه الهمزة: "إنّ تَخْفيف الْهمزَة أن تَقلبها كالحرف الَّذِي قبلهَا فَتَقول فِي خَطِيئَة خَطيّة وَفِي مَقْرُوءَة مقروّة.[١٤٥]"

وصرح بأن الإبدال فيها للتخفيف ابن جني أيضا، فقال: "وكذلك إن وقعت الهمزة بعد ياء (فَعيل) ونحوه مما زيدت فيه لِمَد، أو بعد ياء التحقير، فتخفيفها أن تخلصها ياء، وذلك قولك في (خطيئة: (خطيَّة).[١٤٦]"

ومما أورد العكبري أيضا من إبدال الهمزة ياء وعلله بالتخفيف؛ ما جاء في قوله تعالى ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾[١٤٧] ؛ حيث أورد فيه القراءة بإبدال الهمزة ياء قبل الياء الساكنة: (بَييس)[١٤٨]، ورد ذلك إلى الإبدال إلى التخفيف، فقال إنه "من تخفيف الهمزة حتى صارت ياء".[١٤٩]

---

[١٤٢] سورة الأعراف: ١٧٢/٧.
[١٤٣] إعراب القراءات الشواذ: ١٥٧٥.
[١٤٤] الكتاب: ٥٤٧/٣، وانظر أيضا: المقتضب: ١٦١/١، وسر صناعة الإعراب: ٣٦٨/٢، وشرح المفصل لابن يعيش: ٢٦٧/٥، وشرح شافية ابن الحاجب: ٦٨٦/٢.
[١٤٥] المقتضب: ١٦١/١.
[١٤٦] سر صناعة الإعراب: ٣٦٨/٢.
[١٤٧] سورة الأعراف: ١٦٥/٧.
[١٤٨] انظر القراءة في: الدر المصون: ٥٠٠/٥.
[١٤٩] إعراب القراءات الشواذ: ٥٧٢/١.

غير أن الفرَّاء يعترض على أن يكون ذلك الإبدال تخفيفا؛ ويرى أنه على غير كلام العرب، فيقول في (بئيس) وأمثالها: "والقراء يقولون (يَوُوسا) و(يَوُوده) فيحركون الواو إلى الرفع، و(بَيِيسٍ) يحركون الياء الأولى إلى الخفض، ولم نَجد ذَلِكَ فِي كلامهم؛ لأن تَحريك الياء والواو أثقل من ترك الْهَمْزَةِ، فلم يكونوا ليَخْرجوا من ثقل إلى ما هُوَ أثقل منه."[١٥٠]

ومما ذكر فيه أنه تخفيف بإبدال الهمزة ياءً أيضا؛ ما جاء في قوله تعالى: ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ﴾[١٥١]؛ حيث ذكر أداءه بالياء[١٥٢]، وقال فيه: "يُقرأ بكسر الطاء، وتخفيف الهمزة بأن تقلب ياء".[١٥٣]

ومنه قوله في ﴿أُنَبِّـُٔكُم﴾[١٥٤] أنه "يقرأ بياء بعد الباء من غير همز[١٥٥]؛ للتخفيف.[١٥٦]"

وتخفيف الهمزة المضمومة بعد كسرة بإبدالها ياء أمر مختلف فيه، قال مكي بن أبي طالب: "وكذلك اختلفوا في المضمومة التي قبلها كسرة، فالأخفش يجعلها بين الهمزة والياء للكسرة التي قبلها، وسيبويه يجعلها بين الهمزة والواو؛ لأنها بين الهمزة المضمومة والياء الساكنة، فحركتها أولى بها من حركة ما قبلها".[١٥٧]

---

[١٥٠] معاني القرآن: ١٣٠/٢.
[١٥١] سورة التوبة: ٣٧/٩.
[١٥٢] انظر القراءة منسوبة لأبي جعفر والأعمش، في البحر المحيط: ٤١٨/٥، والدر المصون: ٤٨/٦، وانظر: معجم القراءات (الخطيب): ٣٨٣/٣، وانظر أيضا: إعراب القراءات الشواذ: ٦١٦/١، حاشية رقم: ٥.
[١٥٣] إعراب القراءات الشواذ: ٦١٦/١.
[١٥٤] سورة يوسف: ٤٥/١٢.
[١٥٥] انظر: النشر: ٣٩٧/١، والإتحاف: ٥٦، ومعجم القراءات (الخطيب): ٢٧٤/٤، وانظر أيضا: إعراب القراءات الشواذ: ٧٠٦، حاشية رقم: ٧.
[١٥٦] إعراب القراءات الشواذ: ٧٠٦/١.
[١٥٧] الكشف عن وجوه القراءات: ١٠٦/١، وانظر رأي الأخفش في: معاني القرآن: ٤٨/١، ورأي سيبويه في: الكتاب: ٥٤٢/٣.

وأما إبدال الهمزة واوا وتعليل ذلك بالتخفيف، فقد ذكره في قوله تعالى: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾[١٥٨]؛ حيث أورد العكبري فيه أنه "يقرأ بالواو مكان الهمزة الأولى[١٥٩]، وهو من تخفيف الهمزة المضموم ما قبلها بإبدالها واوا.[١٦٠]"

وذكره كذلك في قوله تعالى : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾[١٦١]؛ حيث أورد أداءه أيضا بإبدال الهمزة واوا، ثم علَّل ذلك بالتخفيف، فقال: "والوجه فيه أن الهمزة الساكنة إذا انضم ما قبلها تخفَّفُ فتقلب واوا".[١٦٢]

وتخفيف الهمزة الساكنة المضموم ما قبلها بإبدالها واوا تخفيف قياسي، قال سيبويه في ذلك: "إن كان ما قبلها مضموماً فأردت أن تخفِّف أبدلت مكانها واوًا".[١٦٣]

ويوضح مكي بن أبي طالب علة إبدال الهمزة الساكنة واوا إذا كان ما قبلها مضموما بأنها: "لما كانت ساكنة ضعفت، فلم تدبِّر نفسها، إذ لا حركة فيها ولا قوة، فدبرها أقرب الحركات منها، وهي الحركة التي قبلها.... وإذا انضم ما قبلها أبدل منها واو ساكنة؛ لأن الضمة من الواو، والواو من إشباع الضمة تحدث".[١٦٤]

وإما إبدال الهمزة ألفا، فقد علله بالتخفيف في قوله ﴿تَبَرَّأَ﴾[١٦٥]؛ حيث أورد فيه أنه "قرئ بغير همز؛ على التخفيف وإبدال الهمزة ألفًا.[١٦٦]"

ومنه أيضا ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَٱطْمَأَنُّواْ﴾[١٦٧]؛ حيث اور أداءه بإبدال الهمزة ألفا، ورد ذلك أيضا إلى التخفيف، فقال: "يقرأ بألف ممدودة، وذلك على التخفيف.[١٦٨]"

---

[١٥٨]سورة الحج:٢٢/٢٣.
[١٥٩]انظر: البحر المحيط: ٤٩٧/٧، ومعجم القراءات (الخطيب): ٩٧/٦، وانظر أيضا: إعراب القراءات الشواذ: ١٣٣/٢، حاشية رقم: ٤.
[١٦٠]إعراب القراءات الشواذ: ١٣٣/٢.
[١٦١]سورة التوبة: ٤٩/٩.
[١٦٢]إعراب القراءات الشواذ: ٦١٩/١.
[١٦٣]الكتاب: ٥٤٣/٤.
[١٦٤]الكشف عن وجوه القراءات: ١٠٢/١.
[١٦٥]سورة البقرة: ١٦٦/٢.
[١٦٦]إعراب القراءات الشواذ: ٢٢٤/١.
[١٦٧]سورة يونس: ٧/١٠.
[١٦٨]إعراب القراءات الشواذ: ٦٣٩/١.

ومنه أيضا ما جاء في قوله تعالى: ﴿دَأَبًا﴾[١٦٩]؛ فقد أورد فيه أنه قرئ "بقلب الهمزة ألفا على التخفيف.[١٧٠]"

ومنه أيضا ما ذكره في قوله تعالى: ﴿رَأْفَةٌ﴾[١٧١]، فقد أورد مما قرئت بها "قلبها ألفا [١٧٢]للتخفيف.[١٧٣]"

وتخفيف الهمزة في كل ذلك بإبدالها ألفا تخفيف قياسي إذا كانت ساكنة مفتوحا ما قبلها، يقول ابن جني: "ومتى كانت الهمزة ساكنة مفتوحا ما قبلها غير طرف، فأريد تخفيفها أو تحويلها أبدلت الهمزة ألفا أصلا كانت أو زائدة".[١٧٤]

وأما إذا كانت مفتوحة مفتوحا ما قبلها؛ فإن تخفيفها بإبدالها ألفا "على غير قياس، وإنما يحفظ حفظا"[١٧٥]

والتخفيف بإبدالها ياء أو واوا أو ألفا مرده في كل ذلك إلى أن الأصوات المبدلة من الهمزة، أخف في أدائها من الهمزة من حيث الجهد اللازم لإنتاجها؛ وإنما كان ذلك الإبدال تخفيفا لأنَّ الهمزة – كما وصفها سيبويه- "بعُد مخرجها، ولأنها نبرةٌ في الصدَّر تخرج باجتهادٍ، وهي أبعد الحروف مخرجاً، فثقل عليهم ذلك" لأنَّه كالتهُّوع".[١٧٦]

---

[١٦٩]سورة يوسف: ٤٧/١٢.
[١٧٠]إعراب القراءات الشواذ: ٧٠٧/١.
[١٧١]سورة النور: ٢/٢٤.
[١٧٢]انظر الإتحاف ٢٩٢/٢، ومعجم القراءات (الخطيب): ٢٢٦/٦، وانظر أيضا: إعراب القراءات الشواذ: ١٧٢/٢، حاشية رقم: ١.
[١٧٣]إعراب القراءات الشواذ: ١٧٢/٢.
[١٧٤]سر صناعة الإعراب: ٣٠٥/٢.
[١٧٥]سر صناعة الإعراب: ٣٠٦/٢.
[١٧٦]الكتاب: ٥٤٣/٣، ولأمثلة أخرى على ما أورده العكبري من إبدال الهمزة معللا بالتخفيف؛ انظر: إعراب القراءات الشواذ: (متكا) ٦٩٨/١، و(ذرا لكم) ١/ ٧٥٩، و (سبأ) ٢٣٦/٢،(يُبدي) ٢٧٤/٢، و(من ساته) ٣٢٥/٢، و(أولاي) ٨٣/٢، و(خطيّتي) ٢١٧/٢، و(شاطيْ) ٢٥٨/٢، و(شركايي) ٢٦٥/٢، و(يبدا) ٢٧٤/٢.

ثانيا: الإبدال بين الصوائت:

كان الإبدال بين الصوائت مظهرا من مظاهر التخفيف أيضا في شواذ العكبري، وقد أورد عددا من الأداءات التي حدث فيها ذلك النوع من الإبدال، ذاكرا أن العلة وراء ذلك الإبدال هي التخفيف، وكان من ذلك تعليله إبدال الضمة فتحة في قوله تعالى: ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾[١٧٧]؛ حيث ذكر فيها أنها قرئت بفتح الواو[١٧٨]، ثم علل ذلك بقوله: "طلبا للخفة لثقل الضمة.[١٧٩]"

فقوله (لثقل الضمة) دليل على أن الفتحة الواردة فيما ذكره إنما كانت معدولا بها عن الضمة.

ونصَّ غير واحد غير العكبري على أن الفتحة هنا بدلا من الضمة كانت للتخفيف؛ حيث إن الفتحة في ذاتها أخف من الضمة، فيقول ابن جني: "ومن فتح تبلَّغ بالفتحة لخفتها"[١٨٠]؛ حيث إن "الفتحة أخف عليهم من الضمة والكسرة".[١٨١]

ويلفت النحاس إلى وجه آخر من التخفيف في قراءة فتح الواو فيعللها بـ "خفة الفتحة وأن قبلها مفتوحا"[١٨٢]، فيضيف عامل المجانسة بينها وبين فتحة الراء قبلها، وذلك إلى جانب خفة الفتحة في ذاتها عن الضمة.

وكان من إبدال الصوائت التي عللها العكبري بالتخفيف أيضا ما أشار إلى أنه إبدال في قوله تعالى ﴿هَيۡتَ لَكَ﴾[١٨٣]؛ حيث ذكر فيه أن فتح التاء إبدال عن كسرة التقاء الساكنين فيها، وعلل ذلك الإبدال بالتخفيف، فقال: "فمن كسر[١٨٤] فعلى أصل التقاء الساكنين، ومن فتح أراد الخفة.[١٨٥]"

---

[١٧٧] سورة البقرة: ١٦/٢.
[١٧٨] انظر القراءة في: مختصر ابن خالويه: ٢، والمحتسب: ٥٤/١، والمحرر الوجيز: ٩٨/١، ومعجم القراءات (الخطيب): ٥١/١، وانظر أيضا: إعراب الراءات الشواذ: ١٢٥/١، حاشية رقم: ٧.
[١٧٩] إعراب القراءات الشواذ: ١٢٥/١.
[١٨٠] المحتسب: ٩٨/٢، وانظر أيضا: تفسير القرطبي: ٢١٠/١ ، والدر المصون: ٥٤/٦.
[١٨١] الكتاب: ١٦٧/٤، وانظر أيضا: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٤٠/٣.
[١٨٢] إعراب القرآن للنحاس: ٣٢/١.
[١٨٣] سورة يوسف: ٢٣/١٢.
[١٨٤] انظر القراءة بكسر التاء في معجم القراءات (الخطيب): ٢٢٠/٤، وما بعدها، وانظر أيضا: إعراب القراءات الشواذ: ٦٩٣/١، حاشية رقم: ٤.
[١٨٥] إعراب القراءات الشواذ: ٦٩٣/١.

وذكر علة التخفيف في ذلك أيضا النحاس، فقال: "بفتح التاء لالتقاء الساكنين لأنه صوت يجب ألا يعرب، والفتح خفيف، فهذا كقولك: كيف وأين ".[١٨٦]

وعلل العكبري بالتخفيف أيضا إبدال الكسرة في قوله تعالى ﴿أُفٍّ﴾[١٨٧] فتحة، فيما ورد من قراءة بذلك[١٨٨]، فقال: "وعَدَل عن الفتح لثقل الكسر بعد الضم مع التشديد".[١٨٩]

وقد ذكر العكبري التخفيف أيضا في الحرف ذاته بالأداء ذاته في إعرابه، فقال: "وَمَنْ فَتَحَ طَلَبَ التَّخْفِيفَ".[١٩٠]

وقد استحسن الفتحَ الزجاجُ أيضا لخفته، فقال: "والفتح مع التضعيف حسن لخفة الفتحة، وثقل التضعيفِ".[١٩١]

وعلل بالتخفيف أيضا ما ورد من إبدال الكسرة فتحةً في قراءةٍ في قوله تعالى: ﴿دُرِّيٌّ﴾[١٩٢]؛ حيث ذكر فيه أنه قرئ بفتح الدال مشددا مهموزا ممدودا[١٩٣]، ثم قال: "ولا نظير له في الأمثلة، إذ ليس في كلام العرب (فَعِّيل) بفتح الفاء، ويمكن أن يكون فرَّ من الكسر إلى الفتح لثقل التشديد والياء والهمز.[١٩٤]"

فعبارته "فرَّ من الكسر إلى الفتح" دالة على أن ما حدث في رأيه هو إبدال بين الكسرة والفتحة، وعبارته "لثقل..." كاشفة عن أن العلة في حدوث ذلك الإبدال هو التخفيف.

---

[١٨٦] إعراب القرآن للنحاس: ١٩٨/٢، وانظر أيضا: البرهان في علوم القرآن للحوفي: ١٦٠.
[١٨٧] سورة الإسراء: ٢٣/١٧.
[١٨٨] انظر القراءة بالفتح منونا وغير منون: معجم القراءات (الخطيب): ٤٢/٤، وما بعدها، وانظر أيضا: إعراب القراءات الشواذ: ٤٨٧/١، حاشية رقم: ٤، و٥.
[١٨٩] إعراب القراءات الشواذ: ٧٨٤/١، وفيه "لثقل الضم بعد الضم"، وأرى أنه خطأ طباعي، وأرى أن صوابه ما أثبت؛ حيث لا ضم بعد ضم، وإنما الذي يلي ضمة الهمزة هو الكسر.
[١٩٠] إعراب القرآن: ٤٢٢/٢.
[١٩١] معاني القرآن وإعرابه: ٢٣٤/٣.
[١٩٢] سورة النور: ٣٥/٢٤.
[١٩٣] انظر القراءة في: مختصر بن خالويه: ١٠٢، والمحتسب ١١٠/٢، والبحر المحيط: ٤٥/٨، والدر المصون: ٤٠٧/٨، ومعجم القراءات (الخطيب): ٢٦٩/٦، وانظر أيضا: إعراب القراءات الشواذ: ١٨٣/٢، حاشية رقم: ٧.
[١٩٤] إعراب القراءات الشواذ: ١٨١/٢.

ومرَدّ التخفيف في ذلك كله -كما ذكرنا- هو كون الفتحة أخف عليهم في نطقها عن الحركتين الأخريين، قال الفراء في خفة الحركات وثقلها: "فإنّما يستثقل الضم والكسر لأن لمخرجيهما مؤونة على اللسان والشفتين تنطمّ الرَّفعة بهما فيثقل الضمَّة ويُمالُ أحد الشِّدْقين إلى الكسرة فترى ذَلِكَ ثقيلًا، والفتحة تَخرج من خَرْق الفم بلا كُلْفة"[١٩٥]، وهو ما يتفق مع ما ذهب إليه المحدثون، إذ إنهم في غالب الأمر لم يختلفوا عما ذهب إليه القدماء من أن الفتحة أخف الحركات[١٩٦]، والسبب في هذا التفاوت هو وضعية اللسان والشفتين عند النطق بالحركة، تلك الوضعية التي تطلب بذل جهد عند النطق بالكسرة والضمة أكبر منه عند النطق بالفتحة.[١٩٧]

وأما عن إبدال الصوائت الطويلة بعضها ببعض فعرض العكبري منه إبدال الواو ياء، وعلله بالتخفيف فيما ورد في قوله تعالى ﴿خَآئِفِينَ﴾[١٩٨] من أنها قرئت (خُيَّفًا) [١٩٩]وقال في ذلك: "أبدلوا من الواو ياء لثقلها بعد الضمة.[٢٠٠]"

وإبدال الواو ضمة في مثل ذلك جائز، قال أبو حيان تعليقا على القراءة ذاتها: "قرأ أُبَيٌّ: (إلا خُيَّفًا)، وهو جمع خائف، كنائم ونُوَّم، ولم يجعلها فاصلةً، فلذلك جُمعت جمع التكسير، وإبدال الواو ياء، إذ الأصل (خُوَّف)، وذلك جائز؛ كقولهم، في صوم صيَّم".[٢٠١]

وأما عن أنَّ في مثل ذلك الإبدال تخفيفا؛ فقد ذكر ابن سيده في لفظة (بائك) بمعنى: سمين للبعير: "وجمعه: بُوَّك. وَحكى ابْن الْأعرَابي: بُيَّك وهو مما دخلت

---

[١٩٥]معاني القرآن: ١٣/٢.

[١٩٦]مثلا: في اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس: ٦٤، و٩٦، ومشكلة الهمزة العربية: ١١٢، لغة تميم: ٢٦٢، وفيهما تقديم الكسرة على الضمة، وانظر أيضا: أثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية، علي عبد الله علي القرني، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها تخصص علم اللغة كلية اللغة العربية جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، ٢٠٠٤م. صـ ١٠.

[١٩٧]انظر: أصوات الحركات العربية دراسة دلالية جمالية، منال محمد هاشم نجار، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد ٦ العدد ٣ رجب ١٤٣١هـ تموز ٢٠١٠م صـ ١٣١.

[١٩٨]سورة البقرة: ١١٤/٢.

[١٩٩]انظر القراءة منسوبة لأُبَيّ في: الكشاف: ١٨٠/١، والبحر المحيط: ٥٧٤/١، ومعجم القراءات (الخطيب): ١٧٩/١، وانظر أيضا: إعراب القراءات الشواذ: ١٩٩/١، حاشية رقم: ١٠.

[٢٠٠]إعراب القراءات الشواذ: ١٩٩/١.

[٢٠١]البحر المحيط: ٥٧٤/١.

فيه الياء على الواو لغير عِلّة إلّا الْقرب من الطّرف، وإيثار التَّخْفِيف كَمَا قَالُوا: صُيَّم فِي: صَوْم، ونُيَّم فِي نوْم".[٢٠٢]

ويرى الدكتور أحمد عفيفي أنه ليس ثمة تخفيف في ذلك، وعلله بـ"عدم وجود تجانس، فوجود الضمة قبل الياء ليس تجانسا، ولهذا كثر التصحيح لوجود التجانس في (صُوَّم) لضم ما قبل الواو... ولهذا كثر (صوّم) عن (صيّم) مع ثقل الأولى عن الثانية من ناحية الحروف، ولكن التجانس خفف ذلك الثقل".[٢٠٣]

ولكن يمكن أن يُلتمس نوع تخفيف في إبدال الواو ياء هنا، إذ إن العرب كما أنهم يخففون بالتجانس والمماثلة، فإنهم أيضا يكرهون توالي الأمثال، فيخففون بالمخالفة، وهو ما يمكن أن يحمل عليه تعليل العكبري لإبدال الواو ياء في (خيّفا) بالتخفيف؛ حيث أدى ذلك الإبدال إلى المخالفة بين متماثلين (الضمة والواو)، ويُشْتَمُّ ذلك في بيانه وجه ثقل الواو بأنها جاءت بعد الضمة، فقال: "لثقلها بعد الضمة ."

[٢٠٢] المحكم (بوك): ١٥٤/٧.
[٢٠٣] ظاهرة التخفيف في النحو العربي: ٢٠٧.

خاتمة

في ختام هذه الدراسة يمكننا أن نجمل أهم النتائج التي توصلت إليها فيما يلي:

١. كان تعليل القراءات الشواذ هدفا رئيسا للعكبري في كتابه إعراب القراءات الشواذ، وقد صرح هو نفسه بذلك في مقدمته للكتاب.

٢. على الرغم من حرص العكبري على تعليل ما أورده من قراءات في كتاب إعراب القراءات الشواذ؛ فإنه لم يستقص كل ما ذكر من قراءات بالتعليل، فقد اكتفى في الكثير منها بمجرد توصيف ما حدث من تغيرات لغوية - صوتية أو غير صوتية- جعلتها مختلفة عن القراءات المتواترة.

٣. كان التخفيف من أهم التعليلات التي علل بها كثيرا من الأداءات القرآنية الشاذة التي أوردها في كتابه.

٤. كان للتعليل بالتخفيف في كتاب إعراب القراءات الشواذ مظهران رئيسان هما الحذف والإبدال.

٥. تنوعت مواضع الحذف التي عللها العكبري بالتخفيف بين حذف الصامت وحده أو حذف الصائت وحده، أو حذفهما معا.

٦. من أبرز ما وقع فيه الحذف معلًلا بالتخفيف في كتاب العكبري: صوت الهمزة، والساكن من المثلين المتجاورين، ونون التنوين، والصائت القصير.

٧. كان من صور الحذف للتخفيف في كتاب العكبري (إعراب القراءات الشواذ)؛ تقصير الصوائت الطويلة، وهو ما كان يؤدي في بعض نماذجه إلى ما يعرف بالمخالفة الكمية بين المقاطع.

٨. كان من صور الإبدال التي ذكرها العكبري في إعراب القراءات الشواذ للتخفيف؛ إبدال الهمزة ألفا أو واوا أو ياء، وكذلك إبدال كل من الضمة أو الكسرة فتحةً، وأما من الصوائت الطويلة فذكر إبدال الواو ياءً.

٩. اتفقت آراء العكبري فيما ذهب إليه من تعليل بالتخفيف مع آراء غيره من اللغويين قدماء ومحدثين.

المصادر والمراجع

١. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لأحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م.
٢. أثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية، علي عبد الله علي القرني، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، تخصص علم اللغة، كلية اللغة العربية جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، ٢٠٠٤م.
٣. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
٤. أصوات الحركات العربية دراسة دلالية جمالية، منال محمد هاشم نجار، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد ٦ العدد ٣ رجب ١٤٣١هـ، تموز ٢٠١٠م.
٥. الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٥، ١٩٧٥م.
٦. الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨١.
٧. إعراب القراءات الشواذ، لأبي البقاء العكبري، دراسة، وتحقيق: د. محمد السيد عزوز، عالم الكتب، بيروت ط٢، ٢٠١٠م.
٨. إعراب القرآن للنحاس،
٩. الاقتراح في أصول النحو وجدله، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، حققه وشرحه: د. محمود فجال، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٩م.
١٠. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
١١. البرهان في علوم القرآن البرهان في علوم القرآن، لعلي بن إبراهيم بن سعيد، أبي الحسن الحوفيِّ، (سورة يوسف دارسة وتحقيقا)، رسالة دكتوراه من الباحث: إبراهيم عناني عطية عناني في التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية قسم القرآن الكريم وعلومه، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
١٢. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

١٣. التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.
١٤. التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، قراءة في كتاب سيبويه، د. عادل نذير بيري الحساني، مركز البحوث والدراسات الإسلامي، ديوان الوقف السني، ط١، ٢٠٠٩م.
١٥. التعليل في الدراسات الصوتية، عزة بنت سعد بن سعيد الغامدي، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودي، ٢٠٠٤م.
١٦. تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
١٧. الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، د. عبد البديع النيرباني، دار الغوثاني، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م.
١٨. الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجابي، دار المأمون للتراث - دمشق/ بيروت، ط٢، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.
١٩. الحدود، لأبي الحسن الرماني، تحقيق: د: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، ط١، ١٩٨٤م.
٢٠. الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، القاهرة.
٢١. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق: د: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
٢٢. دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧م.
٢٣. ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة السكري، تحقيق: الشيخ محمد حسين آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.
٢٤. الرد على النحاة، لابن مضاء القرطبي، تحقيق: د: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، ط١، ١٩٧٩م.
٢٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٢٦. السبعة في القراءات، لأبي بكر بن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ.

٢٧. سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٣م.
٢٨. شرح التسهيل لابن مالك، لمحمد بن عبد الله، بن مالك الطائي، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد بدوي المختون، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٠م.
٢٩. شرح المفصل، لابن يعيش، قدم له: د. إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١م.
٣٠. الشوارد، لرضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن القرشي الصغاني، تحقيق وتقديم: مصطفى حجازي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م.
٣١. الصاحبي، لابن فارس اللغوي، تحقيق السيد أحمد صقر، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
٣٢. ظاهرة التخفيف في اللغة العربية دراسة صرفية صوتية، عبد محمد زين بن شهاب، تريم للدراسات والنشر، حضرموت، اليمن، ط١، ٢٠٠٤م.
٣٣. ظاهرة التخفيف في النحو العربي، د. أحمد عفيفي، الدار المصرية اللبنانية، القاهر، ط١، ١٩٩٦م.
٣٤. علم اللغة العام، د. كمال بشر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠م.
٣٥. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٣٦. في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٨، ١٩٩٢م.
٣٧. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي القاهرة.
٣٨. الكتاب، سيبويه ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.
٣٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل= تفسير الزمخشري، لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٤٠. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها، وحججها، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٤م.
٤١. اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء العكبري، تحقيق: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.

٤٢. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي النعماني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
٤٣. لسان العرب، لابن منظور، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٤٤. اللغة العربية والحداثة، د. تمام حسان، مجلة فصول، المجلد الرابع، العدد الأول، القاهرة، ١٩٨٣م.
٤٥. لغة تميم دراسة تاريخية وصفية، د. ضاحي عبد الباقي، مجمع اللغة العربية القاهرة، ١٩٨٥م.
٤٦. اللغة، جوزيبف فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠ م.
٤٧. اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، طرابلس ليبيا/ تونس، ١٩٨٣م.
٤٨. اللهجات العربية: د. إبراهيم نجا، مطبعة السعادة، مصر.
٤٩. لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطلبي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، ١٩٧٨م.
٥٠. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، مصر، ١٩٩٩م.
٥١. المحرر الوجيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ.
٥٢. المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
٥٣. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه، عني بنشره: برجشتراسر، المطبعة الرحمانية، ١٩٣٤.
٥٤. المدخل إلى علم اللغة، ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م.
٥٥. مشكلة الهمزة العربية، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.
٥٦. معاني القراءات، لأبي منصور الأزهري، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط١ ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م.
٥٧. معاني القرآن لأبي زكريا الفراء، تحقيق محمد علي النجار وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة ط١، القاهرة.

٥٨. معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحق الزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت ط١، ١٩٨٨م.
٥٩. معاني القرآن، للأخفش، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.
٦٠. معجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م.
٦١. المقتضب، للمبرد، تحقيق: الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، دار عالم الكتب، بيروت.
٦٢. الموضح في جوه القراءات، لابن أبي مريم، تحقيق: د. عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن بجدة، ط١، ١٩٩٣م.
٦٣. موقف اللغويين من القراءات القرآنية الشاذة، د. محمد السيد عزوز، عالم الكتب، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٦٤. النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.